مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٧٦٣-٨٣٦، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

الأراضي الزراعية في بلاد الشام خلال الحكم الأيوبي (٥٦٨-٦٤٨هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠م)

د. عبدالمعز عصري محمد بني عيسى
أستاذ مساعد – قسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة اليرموك

ملخص البحث. تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى الأماكن التي تنتشر فيها الأراضي المخصصة للزراعة في الكثير من المناطق الزراعية الشامية من خلال التقسيمات الإدارية للبلاد الشامية في العهد الأيوبي. وتطرقت الدراسة إلى مدى استفادة تلك الأراضي من مياه الأمطار والأنهار والعيون والينابيع في أغراض الزراعة. كما أشارت الدراسة إلى الأساليب الزراعية التي استخدمها فلاحو البلاد الشامية، وبينت جانباً من أصناف المحاصيل الزراعية كالأشجار المثمرة والحبوب والبقول والخضراوات. وركزت الدراسة على ملكية الأراضي الزراعية ونظام الإقطاع الذي تم تطبيقه في بلاد الشام في العصر الأيوبي، من خلال الحديث عن أنواع الاقطاعات التي تم توزيعها على أمراء البيت الأيوبي و كبار رجال الدولة وأعيانها وغيرهم من أمراء الجيش وأجنادهم.

تقديم

كان اهتمام الأيوبيين من سلاطين وملوك وأمراء بالزراعة وشراء الأراضي الزراعية من جهة، والعمل على استصلاح الأراضي الزراعية، والإكثار من إنشاء وامتلاك المزارع والبساتين من جهة أخرى، استمراراً للسياسة الزراعية التي اتبعها من سبقهم في حكم بلاد الشام، وتوسعت الدولة الأيوبية في توزيع الأراضي الزراعية على أبناء السلاطين من الملوك والأمراء، وكبار وأعيان الدولة في بلاد الشام على شكل اقطاعات، بالإضافة إلى منح قادة الجيش وأجنادهم إقطاعات خاصة بهم.

وارتبطت عائدات الأراضي الزراعية بمساحة الإقطاع، إذ وصل بعضها إلى مئات الألوف من الدنانير والدراهم، أضف إلى ذلك الأراضي الزراعية التي يمتلكها أبناء الفئات الأخرى في المناطق الزراعية الشامية. لذا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على التنظيمات الإدارية التي شملتها الأراضي الزراعية في المناطق الزراعية في بلاد الشام خلال العصر الأيوبي، وكذلك على أماكن وجود هذه الأراضي في المناطق الزراعية الشامية وما تنتجه من محاصيل زراعية متنوعة، والتطرق في الحديث إلى وسائل الري والأساليب الزراعية التي يعتمد القائمون عليها في زراعة الأرض، ثم يبين البحث أشكال الملكية والنظام الإقطاعي.

تمهيد

أدى الصراع الإسلامي الإفرنجي الطويل إلى زعزعة أمن واستقرار البلاد الشامية، وذلك منذ أن توجهت أنظار الأوروبيين إلى الاستيلاء على أراضي الشام التي تدر عسلاً ولبناً، بالإضافة إلى العوامل الدينية والاجتماعية التي كانت وراء اندفاعهم نحو الشرق(١)،

(١) زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، (مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية)د.ن، دمشق، ١٩٩٥م، ج٣، ص ٢٤٢؛ الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس؛ ترجمة: زياد العسلي، دار الشريف، عمان، ١٩٩٠، ص ٧- ٨، ٣٢ ، ، جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٢٠٢.

وعلى رأسها تحريض البابا أوربان الثاني لمسيحي الغرب لاحتلال الشرق، واستعادة القدس من أيدي المسلمين(٢)، بعد أن دمرها التركمان على حدِّ زعمهم هي وسائر بلاد الشام، حتى أشرف القرن الحادي عشر على النهاية، وبلاد الشام في حالة من الإنهاك والضعف والتداعي على الصعيدين الداخلي والخارجي، مما أثّر وبشكل سلبي على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك البلاد، الأمر الذي ترتب عليه انهيار القوى الاقتصادية بتداعي واضمحلال الإنتاج الزراعي، والذي يعد الشريان الرئيسي للاقتصاد الشامي، هذا ناهيك عن المساحات الواسعة من الأراضي الفلسطينية التي تم شراؤها لصالح الهيكليين والأوسبيتاليين، من خلال الحجاج النبلاء القادمون إلى فلسطين، فانتقلت تلك الأراضي من سيادة أصحابها المسلمين إلى أعدائهم من الإفرنج(٣)، وزادت أوضاع البلاد سوءاً بزحف الإفرنج إلى الشام ومهاجمتهم لأراضي حلب وقراها منذ عام٤٩١هـ/ ١٠٩٨م(٤)، ثم الإجهاز على مدينة بيت القدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م و التنكيل بأبنائها سواء أكانوا مسؤولين أم مزارعين، ونهب ما في منازلهم من ذهب أو فضة أو جياد وبغال، وما تحتوي من محاصيل وغلال، وجرى على مدن فلسطين ما جرى لمدينة القدس، فاستولوا على الأملاك والأراضي وسلبوا ونهبوا ووسعوا سيطرتهم حتى وصلت مدينة طرابلس(٥). ولم تكن أراضي القدس وحدها التي تعرضت للنهب والحرق وإنما كافة الأراضي في حيفا وعكا وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وغيرها، إذ أصبحت محاصيل تلك الأراضي تموين تتزود بها جيوش الحملة الإفرنجية على بلاد الشام، كل هذا نتيجة

(٢) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٤٥؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٣٥.

(٣) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٤٨ – ٢٤٨؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق؛ ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٦، ص ١٦٤.

(٤) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٥٣ – ٢٥٦؛ جيل، تاريخ الفرنجة، ص ١٦٣؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٥٢، ٦٨.

(٥) زكار، الموسوعة شامية، ج٣، ص ٢٠٢- ٢٥٧؛ جيل تاريخ الفرنجة، ص ٢٣٦؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٥٨- ٧٥.

الأوضاع السيئة التي وصل إليها الحكام المسلمون في الشام، وخاصة في مدينتي دمشق وحلب، التي أعطت الفرصة للإفرنج تحقيق الانتصار تلو الآخر، فاستولوا على كافة أراضي مدينة حلب أمام أنظار حكامها. (٦) ولم تسلم مدن الشام من الهجمات المتكررة على الأرياف التابعة لها، طيلة وجود الإفرنج في إماراتهم التي انحسرت في (الرها وأنطاكية والقدس وطرابلس)، مما أثر سلباً على الحياة الزراعية بترك أصحابها أراضيهم نتيجة الظروف السياسية و العسكرية السيئة التي جلبها الإفرنج بقدومهم إلى الشام(٧) .

ولم يكتف الأمر بهذا الحد، فقد حاول الإفرنج أثناء وجودهم في فلسطين الاستيلاء على مدن الشام الأخرى مثل دمشق وحلب وبصرى في أعوام (٥١٩هـ/ ١١٢٥م، ٥٢٠هـ / ١١٢٦م، ٥٤١هـ/ ١١٤٧م ، ٥٤٣هـ ١١٤٨م). وتأثرت الحياة الزراعية خلال الصراع الإفرنجي، الذي بدأ بتحرير عماد الدين الزنكي (ت٥٤١ هـ/ ١١٤٦م) إمارة الرها من الإفرنج أو ما يسمى بحرب الاسترداد الذي دخل الحكام المسلمين في مراحلها، وعلى رأسهم الزنكيين بدءاً من عماد الدين، وانتهاء بابنه نور الدين محمود، ثم بدأوا يتوسعون في الأراضي الشامية فاستولوا على شمال الشام واستعادوها من الإفرنج، و دانت لهم أراضي الوسط الشامي في حلب وحماة ودمشق وبعلبك وغيرها، فأصلحوا أحوالها وأحسنوا إلى الأهالي من الفلاحين وغيرهم، وفرضوا لهم الحماية من إعتداءات الأجناد على أراضيهم(٨)، آملين تحرير البلاد الشامية من الإفرنج(٩).

---

(٦) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٥٧- ٢٥٩؛ جيل، تاريخ الفرنجة، ص ١٨١.

(٧) زكار، الموسوعة، ج ٣، ص ٢٦٠ — ٢٦١؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٥٣- ٥٨؛ جيل، تاريخ الفرنجة، ص ٢٤٨.

(٨) زكار الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٧٧ — ٢٧٨.

(٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٨- ٩، ٢٢٠، ٢٣١.

وبالرغم من ذلك فإن الأراضي الزراعية في بلاد الشام ظلت مهددة بالخطر الإفرنجي منذ قدومهم إلى أراضي الشام، ولم تنتهي الغارات المتكررة بين المسلمين والإفرنج (١٠) لاسيما بعد أن رفع نور الدين الزنكي لواء الجهاد في سبيل الله من أجل إنهاء السيطرة الإفرنجية على المدن الشامية وعلى رأسها القدس، وكثيراً ما كان الإفرنج يحاول الدخول إلى دمشق، من كافة الجهات، ملحقين الأضرار في الأراضي الزراعية التي يمرون بها سواء أكانت البساتين أوالمزارع أو الغابات الكثيفة الأشجار (١١). ولم تسلم أراضي حوران هي الأخرى من أذى الإفرنج وحلفائهم من المسلمين، وعلى رأسهم الأمير مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين (ت ٥٤٩هـ/١١٥٤م)، الذي أساء إلى أهالي حوران من الفلاحين والعربان من خلال تعاونه مع الإفرنج الذين اعتدوا على أموالهم، وقاموا بسبي نسائهم وأطفالهم، حتى خلصهم نور الدين مما هم فيه سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م(١٢) . إلا أن هذا لم يقلل من سيطرة الإفرنج على الأراضي التي تقع في الساحل الشامي من الإسكندرونة شمالاً حتى غزة جنوباً، فحرموا المسلمين من إمكانية الاستفادة من خيرات تلك الأراضي في تلك المنطقة الممتدة، وظلت في أيديهم ينعمون بخيراتها حتى قيام الدولة الأيوبية و مجيء صلاح الدين في حكم البلاد الشامية(١٣).

التنظيم الإداري

قسمت بلاد الشام في العهد الأيوبي إلى ست وحدات إدارية رئيسية وهي: دمشق وأعمالها، وحلب وأعمالها، وبعلبك وأعمالها ، وحماة

---

(١٠) جيل، تاريخ الفرنجة، ص ٨٦- ٨٧.

(١١) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٨٤ – ٢٨٥؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ١٠٧- ١١٠؛ زابوروف الصليبيون، ص ١٨٥.

(١٢) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٨٦- ٢٨٧.

(١٣) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٨٩، ٢٩٢.

وأعمالها، وحمص وأعمالها، والكرك وأعمالها(١٤). وتعد مدينة دمشق قاعدة بلاد الشام وقصبتها، ومن أعمالها شوف المبادنة وشوف القدس وشوف الحيطى وشوف الشومر وإقليم التفاح وإقليم العيشية وجبل عاملة وجبل البقيعة والصبيبة وبانياس ومدينة زرع وأذرعات وبصرى وحوران وقلعة هرمز والبثنية وعمّان وجرش وعجلون وإقليم بيت رأس وإقليم السامرة، وإقليم فحل والغور الأعلى وبيسان والغور الأوسط (غور حقا وأريحا والغور الأسفل (غور زغر)، ومن أعمال دمشق أيضاً كورة بيت جبرين وكورة عمواس وكورة بني عطية وبلد الخليل وغور مدينة عمتا وغور دامية ومدينة السلط وأعمالها كالزرقاء وجبل بني عوف وجبل بني هلال، ومن أعمال دمشق بيت المقدس والرملة واللد وسبسطية وعين جالود ومدن بيروت وصيدا، وعسقلان وقيسارية ويافا وبيت لحم وبيت جالا وحبراص والسويداء وحسبان (١٥) وتدمر والسخنة، ومن ضواحيها الغوطة والمرج(١٦) والربوة (١٧) ودير مران(١٨) وغيرها.(١٩)"

---

(١٤) شيخ الربوة ، شمس الدين عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ص١٩٢؛ ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك؛ تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٩٨٤م، ص ٤٣.

(١٥) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٠- ٢٠٢.

(١٦) المرج: وهي أكثر من مرج توجد في دمشق ونواحيها وفي غوطة دمشق. انظر: الحموي، شهاب الدين أبي همزة عبد الله ياقوت معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، مج ٥، ص ١٠١.

(١٧) الربوة: قيل انها دمشق، وبدمشق في لحف جبل تحته سواء نهر بردى. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ٢٦.

(١٨) دير مُرّان: يقع الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٥٣٣.

١٩) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد مسالك الابصار في ممالك الأمصار؛ تحقيق: محمد خريسات، مركز زايد للتراث، أبو ظبي،ج٣ ، ص٣١٩؛ الحموي، معجم البلدان، ص٤٦٣؛ ابن طولون، محمد الصالحي القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية؛ تحقيق: محمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠، ق١، ص٤٤، ٤٨؛

ودمشق من أجمل بلاد الشام وأحسنها مكاناً وأعدلها هواء وأطيبها ثرى وأكثرها مياها وأغزرها فواكه وأعمها خصباً ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة"(٢٠). يذكر شيخ الربوة أن عدد بساتين الغوطة(٢١)، وسائر أراضي دمشق بلغت نحو(١٠٠٢١ بستاناً)، وجميعها تسقى بماء نهر بردى(٢٢). وأن أراضي الغوطة الصالحة للزراعة تبلغ نحو (٣٠٠٠٠ هكتار= ٣٠٠٠٠٠ دونم)، ويصل عدد بساتينها إلى (٥٣٤٥) بستاناً، يتوزع أغلبها في القرى والضياع التابعة لها مثل المعظمية والمزة وداريا وبرزة وكوكبا وبلاس وكفر سوسية وشبعا(٢٣) والبجدلية وبالا ودوما(٢٤) وحرستا(٢٥) وغيرها(٢٦). يقول الإدريسي" ويكون في كل واحدة من هذه الضياع من ألفي رجل إلى ألف وأقل وأكثر والغوطة أيضاً هي أشجار وأنهار ومياهها مخترقة تشق البساتين وبها من أنواع الفواكه مالا يحيط به تحصيل" وقد بلغ عدد ضياعها في عهد الملك المعظم عيسى(ت ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦م) نحو ١٧٠ قرية عامرة، و٣٤ قرية سلطانية، وكانت البقية أملاكاً لسكانها من جميع الطبقات، التي قدرت بنحو ١٦٠٠ ضيعة (٢٧).

وكان يتبع دمشق العديد من الكور والأعمال ، ونظراً لموقعها السهلي المحاط بسلسلة جبلية شمالا وغربا، وانفتاحها على الصحراء من

---

(٢٠) الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،مج١، ص ٣٦٦.

(٢١) الغوطة: الغوطة: هي الكورة التي فيها دمشق، يحيط بها جبال عالية في جميع جهاتها. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٢١٩.

(٢٢) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩٤

(٢٣) شبعا: الشبعاء، من قرى دمشق من إقليم بيت الآبار. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ٣٩.

(٢٤) دومة: من قرى غوطة دمشق غير دومة الجندل. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٤٨٦.

(٢٥) حَرَسْتا: قرية كبيرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٤١.

(٢٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٦؛ محمد، كرد علي، غوطة دمشق، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص١٤-١٦.

(٢٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٦؛ كرد علي، غوطة دمشق ، ص١٧.

جهات الشرق والجنوب، فقد جعلها ملتقى لأهالي الصحراء من التجار في انطلاقاتهم نحو العالم الخارجي، ومن جبالها: قاسيون وجبل لبنان[٢٨]، ومن قراها: بيت نايم وتل كردي والجديدة[٢٩] وعذراء[٣٠] والسويداء[٣١] والفيجة والزبداني وتل الشعير وداريا وكفر سوسة[٣٢] والمزة[٣٣] وزملكا[٣٤] وغيرها[٣٥]. وإلى جانب دمشق توجد مدينة حلب وهي كثيرة الأنهار والأشجار المثمرة، ومن أعمالها: الملوحة وباب وبزاعا وشيزر والشغر وبكاس وحارم وعزاز ومنبج وقنسرين وكفرطاب وغيرها [٣٦].ثم مدينة حماة المبنية على نهر العاصي ذات البساتين والغيطان المشهورة بكثرة الأشجار وأنواع الغروس والثمار، إضافة إلى معالمها الأثرية والحضارية التي تعود بتاريخها إلى العصر الأيوبي. ثم مدينة حمص ومن أعمالها: بعرين وسلمية وشمسين ومدينة طرابلس وأعمالها البثرون وأنطرسوس والكورة ولها أعمال يزيد عددها على (١٠٠٠) قرية، وفيها

(٢٨) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة؛ تحقيق: سامي الدهان، (طبعة ١٩٦٢م)،ج٢ ق٢ ص٣٥؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص ٢٠١- ٢٠٣ ؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص٣٧؛ خير، صفوح، مدينة دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٩م، ص١٢٤.

(٢٩) الجُديدة: تقع في كورة بين النهرين، وهي قديمة جداً وأعمالها متصل: بأعمال حصن كيفا. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ١١٥.

(٣٠) عَذْراء: قرية بغوطة دمشق من إقليم الجولان. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٩١.

(٣١) السويداء: قرية بحوران من نواحي دمشق. انظر: الحموي، م معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٨٦.

(٣٢) كفرسوسة: وتسمى أيضاً كفرسوسيّة، وهي من قرى دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص ٤٦٩.

(٣٣) المزة: قرية كبيرةتقع في وسط ساكين دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ١٢٢.

(٣٤) زملكا: قرية من قرى دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ١٥٠. .

(٣٥) ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار، ج ٣، ص ٣١٥؛ كرد علي، غوطة دمشق، ص١٧.

(٣٦) ابن أبي جرادة، عمر بن أحمد، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربي دمشق، ج٢، ص٦٨٩؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١ق١، ص١٥٤؛ ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار، ج٣، ص ٣٢٦ – ٣٢٧؛ الحموي، معجم البلدان، ص٢٨٢؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٢

حصنا عكار والأكراد، وقاري والنبك واللاذقية وجبلة [٣٧]، ومن المدن التابعة لدمشق بانياس الذي يغذيها جبل الشيخ المغمور بالثلوج طيلة أيام السنة أو كما قيل في وصفه "الثلج على رأسه كالعمامة لا يعدم منه شتاءً ولا صيفا"[٣٨]، وهناك مدن حران[٣٩] وسروج[٤٠] المتميزة ببساتينها ومياهها العذبة.[٤١]

أما منطقة الأردن، فمن أشهر مدنها: الكرك والشوبك وعمان قصبة أرض البلقاء ذات المزارع التي يكثر فيها أشجار الفاكهة، بالإضافة إلى كونها مصدرا لإنتاج الحبوب، وحوران ومدنها طبرية والغور واليرموك وبيسان.[٤٢] ثم مدن عجلون والصلت ومعان ومن أعمال الكرك: مؤتة والحسا والأزرق والسلط ووادي موسى ووادي نمير وجبل الطباب وجبل بني مهدي وقلعة السلع وأرض مدين وأرض القلزم وأرض الريان بالغور الزرقاء والأزرق والجفار وزغر، ومن أجمل بقاع الغور أريحا وعمتا وبيسان التي يكثر فيها أشجار النخل[٤٣] ، وفي منطقة فلسطين توجد مدن عسقلان وأرسوف طبرية وبيسان وصور وعكا وحيفا وغزة [٤٤]. بالإضافة إلى بيت لحم بالقرب من مدينة إيلياء، [٤٥] ثم الرملة و

(٣٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٢- ٢٠٨ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار،ج٣، ص٣٢٤؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٢.

(٣٨) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا؛ دار ا لفكر، دمشق، ١٩٨٧م،ج٤، ص١٠٨.

(٣٩) حرّان: هي قصبة ديار مضر، وتقع على طريق الموصل والشام والروم، انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٣٥.

(٤٠) سَرُوج: بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢١٦.

(٤١) ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص٢٢٢-٢٢٣

(٤٢) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٥١؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٢.

(٤٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٦؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ص٦٧،٧٨؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص ٢١٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص١٠٩، ١١٠؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٣.

(٤٤) ابن شداد ،الاعلاق الخطيرة، ج ٢ ق ٢ ص١٢٣-١٢٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٦- ٣٦٣.

نابلس المدينة الساحرة التي يقع فيها جبل (طور زيتا) اللذان وردا في القرآن الكريم (٤٦)، ومدينة يافا التي يكثر فيها أشجار الزيتون والكروم، قال ابن حوقل في وصفها: "وليس بفلسطين بلدة فيها ماء جار سواها، وباقي ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه" (٤٧). وعلى رأس هذه المدن من حيث المكانة والأهمية تأتي مدينة القدس التي اشتهرت زمن الأيوبيين بكثرة مدارسها وأسواقها، بالإضافة إلى كونها المدينة المقدسة (٤٨). ومن المناطق الشامية غزة وأعمالها مثل: عسقلان ويافا وقيسارية وأرسوف والداروم والعريش وتيه بني إسرائيل وتل حار وتل الصافية وقرنيا وبيت جبرين والخليل وبيت المقدس(٤٩)، وضواحيها مثل: عين سلوان والطور ورابعة العدوية وكفر بريك وغيرها، بالإضافة إلى بيت لحم ومدينة حبرون، وهناك صفد ومن أعمالها: شقيف وقلعة معليا والقرين ومرج عيون وأرض الجرمق وقرية البقيعة وجبل الزابور وطبرية وحطين وكفركنا – والبطوف والناصرة واللجون وجنين وعكا(٥٠).

أما الأعمال الشمالية لدمشق فقد اشتملت على مدن البقاع مثل: بعلبك التي كانت مستقلة كولاية قائمة بحد ذاتها عن البقاع في العهد الأيوبي (٥١). يقول القلقشندي:"وهي مختصرة من دمشق في كمال محاسنها وحسن بنائها وأسواقها الحسنة والماء جار في ديارها وأسواقها...المختلفة وبظاهرها عين متسعة الدوائر ماؤها في غاية

---

(٤٥) الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار؛ تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٢٣

(٤٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٠

(٤٧) ابن حوقل ، أبي القاسم النصيبي صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص١٦٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٦-١٠٧

(٤٨) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق ٢ ص١٢٣؛ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى،ج٤، ص١٠٤-١٠٥.

(٤٩) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١٣؛ زبدة كشف الممالك، ص ٢٣- ٢٤، ٤٢.

(٥٠) شيخ الربوة، ص ٢١٠- ٢١٢؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٤.

(٥١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢٠٨.

الصفاء بين المروج والبساتين " [٥٢]. وإلى جانب بعلبك، توجد مدن بيروت وصيدا وغيرها [٥٣].

المناخ والأمطار

يؤثر الموقع الجغرافي وتنوع التضاريس في طبيعة المناخ الذي تتأثر به منطقة بلاد الشام ،حيث يظهر الأثر الكبير والواضح للمناخ المتوسطي، وبدرجات متفاوتة في مناطق الساحل والمرتفعات الجبلية والهضبات والصحارى [٥٤]، ويتوقف على ذلك كميات الأمطار التي تسقط في مختلف مناطق الشام في سواحلها وسهولها، التي لا يقل فيها ارتفاع الأمطار سنويا عن٧٠٠ملم[٥٥]، حيث بلغ معدل سقوط الأمطار في دمشق وضواحيها وسهولها نحو ٣٥٠ملم [٥٦]. بينما وصل ارتفاع منسوب الأمطار في منطقة الغوطة إلى ما يقارب نحو(٢٥٠ملم). [٥٧] وفي مناطق الهضاب، تكفي الأمطار الساقطة لأغراض الزراعة البعلية، فيما تقل أمطار الصحراء عن٢٠٠ملم يستغل أكثرها في زراعة أراضي الواحات [٥٨].

وفي إقليم الغور، ساعدت الأمطار على نمو كثير من المزروعات والأشجار المثمرة صيفاً، وزراعة الحبوب شتاء [٥٩]. وتعمل المنخفضات

---

(٥٢) المصدر نفسه، ص١١٣

(٥٣) المصدر نفسه، ص٢٠٨-٢٠٩

(٥٤) حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي؛ تقديم: عبد العزيز الدوري، عمان، ١٩٧٨، ص٢٢-٢٣

(٥٥) محمد كرد علي، خطط الشام، بيروت، ١٩٧٠م، ج٤، ص١٦٨

(٥٦) محمد كرد علي، دمشق مدينة السحر والشعر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص٨.

(٥٧) كرد علي، خطط الشام، ج٤،ص١٦٨-١٦٩

(٥٨) حسين، الحياة الزراعية، ص٢٤

(٥٩) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص١٦٧

الجوية المارة فوق الأراضي الشامية على ارتفاع أو انخفاض مستوى الإنتاج الزراعي في بلاد الشام (٦٠).

المياه والأنهار

تعتمد مناطق بلاد الشام على الأمطار كمصدر أساسي في ري الأراضي الزراعية نظرا لافتقارها للمجاري المائية، على الرغم من وجود الأنهار الدائمة الجريان التي لا يحسن استغلالها في ريّ المزروعات بالشكل المطلوب ، مثل: أنهار الأعوج والأردن الذي يخترق بعض مناطق فلسطين والتي تغذيها مياه الأمطار والسيول، ونهر العاصي المار في مدن: حمص وحماة وانطاكية (٦١). ونهرالجلابي الذي يغذي مدينة حران (٦٢).

تشكل الأنهار المصدر الثاني من مصادر المياه في سد احتياجات الناس، وريّ المزروعات الشامية، مثل: نهر الأردن (نهر أنطاكية) في أرض دمشق و نهر(بردى) الذي يغذي مدينة دمشق وقراها وأحيائها وضواحيها، وعلى رأسها قرى الغوطة (٦٣) وبساتينها، يقول شيخ الربوة" والغوطة ذات العماد في عصرنا تسقى بماء واحد، يأتي إليها من أرض الزبداني ومن وادي بردى عين تنحدر من أول الوادي ومن عين الفيحة، وينبعث نهر واحد يسمى بردى". ويتفرع عنه الأنهار الصغيرة مثل (ثور وبانياس ويشكر) ونهر قناة المزة ونهر عادية ونهر داريا. (٦٤) هذه

---

(٦٠) فالح حسين، الحياة الزراعية، ص٢٥

(٦١) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٦؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص١٣٢-١٣٣؛ فالح حسين، الحياة الزراعية، ص٢٨

(٦٢) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩١

(٦٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٣١٥؛ القلائد الجوهرية، ص٤٨.

(٦٤) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك،مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص ١٧٧؛ابن جبير، رحلة ابن جبير، ٢٤٨-٢٤٩ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ١، ص٣٦٧ ؛ شيخ

هي أهم الأنهار التي تغذي الأراضي الزراعية في بلاد الشام، بالإضافة إلى بعض الأنهار الصغيرة كنهري قويق والذهب اللذين يغذيان أراضي قنسرين وقرى حلب مثل الحسينية وعزاز وسنياب وقرى الراوندان (٦٥)، ونهري البارد وقاديشا في ساحل طرابلس، و كذلك أنهار الجوز وابراهيم والكلب(٦٦) والدامور والزهراني التي تغذي المناطق ما بين مدينتي طرابلس وصيدا (٦٧).

أما الينابيع والعيون ، فتظهر أهميتها في كونها مورداً هاماً في تزويد الأنهار بالمياه، وتنتشر بكثرة في المناطق الشامية، لاسيما في مدينة دمشق التي تزيد العيون فيها عن (٣٦٠) عيناً، ولا تكاد قرية من قرى الغوطة تخلو من العيون(٦٨)، وكذلك في مناطق الغور وقيسارية وبيت المقدس والشوبك التي يسخَّر أكثرها في ري المحاصيل الزراعية وأشجارها المثمرة في البساتين والكروم . (٦٩) ويضاف الى تلك المصادر المائية مياه القنوات التي تكثر في مناطق دمشق والنبك وسلمية ومنبج، وسهول حلب. ذكر ابن شداد أن عددها وصل إلى نحو(١٣٤) قناة في

الربوة، نخبة الدهر، ص ١٩٤؛ القلائد الجوهرية، ص٤٨؛ العطار، محمد، علم المياه الجارية في مدينة دمشق؛ تحقيق:احمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤، ص٨.

(٦٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٧٧؛ ابن الشحنة (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، أبي الفضل محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،؛ تقديم: عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤، ص ١٣٤- ١٣٥؛.

(٦٦) نهر الكَلْب: يقع بين بيروت وصيداء من سواحل عواصم الشام. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ٣٢٣.

(٦٧) حسين، الحياة الزراعية،ص٣٢-٣٣

(٦٨) المرجع نفسه، ص٣٤

(٦٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٠؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين ابن أيوب، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م، ص٢٤٣- ٢٤٧ ؛ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ص ١٧٤- ١٧٥.

دمشق و(٢٠) قناة فيما جاورها من القرى والأحياء، وعادةً ما تكون مياه القنوات تستخدم في أغراض الشرب وري المزروعات. (٧٠)

الأراضي الزراعية

تنتشر الأراضي الزراعية في السهول الساحلية لمناطق انطاكية واللاذقية وبانياس وطرابلس وعكا وبيروت، وصيدا المحفوفة بالبساتين والأشجار، والتي تشتمل على نيف وستمائة ضيعة، ثم السهل الساحلي الفلسطيني، وبقية السهول المنتشرة على الساحل الجنوبي لبلاد الشام(٧١).

ويضاف إليها السهول الداخلية التي يقع بعضها الى الشرق من السلاسل الجبلية الشرقية، وأهمها: سهول حمص وحماة والبقاع والغور الأردني (٧٢)، ثم سهول الغوطة وحوران، والسهول المرتفعة في الجولان ومنطقة شرقي الأردن ، والمعروف أن مزارع الشام وإنتاجها من المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة يضرب بها المثل في جودتها وكثرة مياهها وخصوبة أراضيها (٧٣). فعلى سبيل المثال امتلكت دمشق في داخلها وخارجها كثيراً من السهول والبساتين، أو كما قال ابن جبير عن دمشق "جنة المشرق، وعروس المدن،تحلت بالأزاهير والرياحين، وأحدقت البساتين بها وامتدت بشرقها وغوطتها الخضراء".(٧٤)

تعد منطقة الأغوار من المناطق الزراعية التي تشتهر بخصوبة أرضيها ووفرة غلاتها مثل قصب السكر والموز وأشجار النخيل والحلفا والأرز، وتشتهر جبال عجلون و مؤاب والشراة بزراعة أشجار اللوز والرمان والتين البلوط والسنديان والسرو والصنوبر والبطم والخروب،

---

(٧٠) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق ٢ص١٩-٣٢ ؛ حسين، الحياة الزراعية، ص٣٤-٣٥

(٧١) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٧٠ ؛ حسين، الحياة الزراعية،ص٣٧

(٧٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٧٤.

(٧٣) الغامدي، علي محمد،بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ص٤٥٤

(٧٤) ابن جبير، الرحلة، ص٢٣٤-٢٣٥

يقول الإدريسي: " ويقابل عسقلان في جهة الجنوب ناحيتان جبليتان وهما جبال وشراه، فأهل جبال فمدينتها تسمى دراب وشراة أيضاً مدينتها أذرح وهما في غاية الخصب وكثرة أشجار الزيتون واللوز والتين والكروم والرمان... " (٧٥) بينما خصصت أراضي البلقاء لزراعة الزعفران المستخدم في الطعام و الصباغة، إضافة إلى أشجار الفاكهة التي تنتشر ما بين الزبداني ودمشق، وأراضي القدس ونابلس والخليل(٧٦). وفي معظم بلاد الشام تسود زراعة محاصيل الحبوب بجميع أنواعها من القمح والشعير والشوفان(٧٧) والفول والحمص والعدس والكرسنة والجلبان(٧٨) وغيرها (٧٩). وتميزت بعض المناطق الجبلية في زراعة الأشجار المثمرة مثل الكرمة والزيتون والرمان الذي يزرع في جبل الريان (جبل العرب)(٨٠). فيما اشتهر جبل السماق بكثرة أشجاره المثمرة، ومحاصيله الزراعية لكثرة مزارعه وبساتينه وإنه، "أعمر الأرض وأعملها فلاحا"(٨١).

---

(٧٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٧.

(٧٦) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ج٨، ص٢٥٦؛ غوانمة، يوسف درويش، تاريخ شرق الاردن، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٩م، ص٥٦-٥٧؛ شاهين، رياض ،وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش، دار الشروق عمان، ٢٠٠٣م،، ص ١٠٥.

(٧٧) الشوفان: نبات علفي من الفصلية النجيلية، انظر:مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٥٠٠.

(٧٨) الجلبان: هو مما يطحن ويخبز فيؤكل خبزه، وهو من الزراعات الشتوية والصيفية، ويوافقه في الأرض ما يوافق الباقلي، انظر: ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي، الفلاحة النبطية، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٩٣م، ج١، ص٥٠٨.

(٧٩) النويري، نهاية الارب، ج٨، ص٢٥٧.

(٨٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٥،١١٣؛ حسين، الحياة الزراعية، ص٤٠-٤١

(٨١) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص٢٠٧؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٥.

أشاد الرحالة ابن جبير بالإنتاج الزراعي في بلاد الشام، وكثرة خيراتها وانتشار البساتين في مناطق المعرة ومبنج التي تنتج الزيتون والتين والفستق واللوز والمشمش والتفاح والرمان وأنواع الفواكه، وذكر بأنها " أخصب بلاد الله وأكثرها رزقا" (٨٢). وتشتهر صيدا بزراعة أشجار الفاكهة، والناعمة التي ينبت في أراضيها أشجار الخرنوب وبيروت الغنية بأشجار الصنوبر، وجبيل واسعة الأشجار ولها فواكه وكروم، ومدينة طرابلس التي تشتمل على ضياع عديدة يكثر فيها زراعة أشجار الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع الفاكهة وأصناف من غلات الحبوب، ومن أشهر صناعها الشفيقية والزيتونية والراعبية والحدث وأميون(٨٣). وعلى الرغم من ندرة الأمطار وقلة الأنهار، إلا أن السهول الشامية تمتاز بأجود أنواع التربة الطينية الصالحة للزراعة في أراضي حوران والغوطة وسلمية وحمص ومناطق الساحل والسهول الشرقية بالإضافة إلى مناطق الغور والبقاع وبعلبك المدينة الخصيبة كثيرة المحاصيل والغلات وغزيرة بالكروم وأشجار الفاكهة (٨٤).

أما فيما يتعلق بريّ الأراضي الزراعية ،فان اعتماد الجزء الأكبر منها على مياه الأمطار، في حين تتركز المناطق التي تعتمد على الري في أراضي الغوطة وحوضي نهري الأردن والعاصي.(٨٥) وفي الجنوب الشامي تسقى أراضيه من ماء الحاصباني وبانياس والأردن. (٨٦) هذا وقد شهدت أكثر مناطق دمشق الزراعية في القرى والضياع إصلاحات حقيقية في الجانب المائي، الأمر الذي ساهم في توسيع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة خاصة في منطقة الغوطة منذ عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية(٨٧)، الذي اهتم بكري الأنهار(٨٨)، واستخدم أدوات الناعورة

(٨٢) ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٣،٢٢٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٥

(٨٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٧١- ٣٧٣.

(٨٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ١، ص ٣٦٩؛ كرد علي، خطط الشام،ج٤ ، ص١٧١

(٨٥) النويري، نهاية الارب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ج٨، ص١٨٦ حسين، الحياة الزراعية، ٨٢.

(٨٦) كرد علي ، خطط الشام، ج٤ ،ص١٧٦

(٨٧) حسين، الحياة الزراعية، ص٨٢

(٨٩)، والمعروفة منذ القدم في كري الأنهار والدالية(٩٠) والدولاب كما استخدمت في الري أدوات الشادوف والساقية. (٩١)

وحول الأساليب الزراعية المستخدمة في المناطق الشامية البعيدة عن مجاري الأنهار التي تعتمد في ري محاصيلها على مياه الأمطار الموسمية (الشتوية)، فقد استخدم الفلاحون نظام الحقلين وهو نظام وجد من العهد الروماني في بلاد الشام، حيث يزرع بموجبه قسم من الأراضي ويتم إراحة القسم الآخر، ثم يجري التبديل بين القسمين في العام التالي، (٩٢) من أجل المحافظة على جودة التربة وتحسين الإنتاج . (٩٣) ويقوم الفلاح الشامي بحراثة الأرض ثم زراعتها بالمحاصيل الزراعية الصيفية والشتوية، ومن ثم تسميدها إما بروث الحيوانات وفضلات الناس، أو باستخدام الرماد والتبن، أو السماد المخلوط بشتى الأنواع، وبعد ذلك يلجأ إلى قطف ثمار تلك المحاصيل في أوقاتها المناسبة حتى يتسنى له دفع الضرائب الخراجية أو العشرية المترتبة على أرضه(٩٤).

وقد عرف منذ العهد الأموي وحتى العهد المملوكي عدة طرق وقوانين للفلاحة تقوم على أساسها زراعة الأرض من قبل الفلاحيين

---

(٨٨) كري الأنهار: تنظيف مجرى النهر أو القناة من الأوساخ والأعشاب، انظر: حسين، الحياة الزراعية، ص٨٧.

(٨٩) الناعورة: دولاب ذو دلاء أو نحوها، يدور بدفع الماء أو جر الماشية، انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص٤١٩.

(٩٠) الدالية: دولاب يديره ثور من أجل إيصال الماء في النهر إلى الأرض المراد ريها، انظر: الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م، ص٥١.

(٩١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢ ق٢ ص١٨؛ طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٢٤٤.

(٩٢) النويري، نهاية الإرب، ج٨، ص٢٥٦؛ الطروانة، طه ثلجي، مملكة صفد في في عهد المماليك ، دار الآفاق الجديد، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٦٨؛ طرخان، النظم الإقطاعية ص ٢٤٢.

(٩٣) خرابشة، سليمان عبد العبد الله، نيابة طرابلس في العصر المملوكي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣، ص١٦٠.

(٩٤) حسين، الحياة الزراعية، ص٧٣؛ خرابشة، نيابة طرابلس، ص١٦٠.

حيث تعتمد على المشاركة ما بين الفلاح وصاحب الأرض مثل: المقاسمة وتختلف حسب نوع الأرض ونوع ريّها وتكون أما المثالثة أو المرابعة أو المخامسة أو المسادسة أو المسابعة أو المثامنة وقد تعرضت هذه القوانين لجدل الفقهاء، ومن الطرق: المزارعة(٩٥)، والمساقاة(٩٦)والمغارسة(٩٧)، إلى جانب قانون الإيجار أو التضمين، وجميعها كانت تقوم على عمل الفلاح في الأرض لقاء جزء من محصولها، وتختلف قيمة الإيجار تبعاً لنوع الأرض ونوع ريّها ونوع المحصول، فضلاً عن الأحوال الطارئة من رخاء أو غلاء أو فتن، بالإضافة إلى معاملة مالك الأرض، ويكون نصيب الفلاح بعد الحصاد بحسب ما اتفق عليه، وتكون القسمة بحضور شهود مقابل أجر يحصلون عليه من المقطع والفلاح لا يتجاوز العشرة بالمئة في أحسن الأحوال، وقد لا يحصل على شيء بسب ما كان يدفعه لوكلاء الدين من ديون وأثمان البذار،(٩٨) ويدخل ضمن الإيجار ما يعرف بالأراضي المضمنة، وانتشر هذا القانون في الأراضي الشامية الساحلية منذ أن كانت خاضعة تحت الحكم الإفرنجي، واستمرت حتى عصر المماليك، وعلى أرباب تلك الأراضي دفع شيء معلوم من المال يؤخذ منهم عند إدراك المحصول. ويضاف إلى تلك الأساليب الزراعية

(٩٥) النويري: نهاية الارب، ج٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٨٧.

(٩٦) المساقاة: دفع الرجل شجره إلى آخر ليقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج إليه بجزء معلوم من ثمره كالنصف أو الثلث، انظر: فالح حسين، الحياة الزراعية، ص٦٥، طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٥٥ هامش ٣٢

(٩٧) المغارسة: عقد بين الطرفين (صاحب الأرض والفلاح) على أن يقوم الثاني بغرس الأشجار المثمرة وله حصة من الأرض والشجر ، من نهاية الاتفاق، انظر: طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٣٨- ٢٥٥؛ حسين الحياة الزراعية، ص٧٠.

(٩٨) النويري، نهاية الأرب ج٨، ص ٢٦٠؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٨؛ الاوتاني، أحمد محمد، دمشق في العصر الأيوبي، التكوين للتأليف والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م، ص٣٣٨-٣٣٩.

استخدام ما يعرف بالتسليف(٩٩) الذي يقوم على استثمار ثمر الأشجار فقط. (١٠٠)

استعمل الفلاحون الشاميون في العصر الأيوبي الكثير من الآلات الزراعية التي تعتمد على القوة البدنية في عملها مثل: المحراث الخشبي المصنوع من خشب أشجار الدردار كما عند الحلبيين، والمنجل والجاروف (المجرفة) والمسحاة والشوافة والمعول. وفي موسم الحصاد يستخدمون لوحاً من الخشب لدرس الحبوب، ثم وضعها في قبة تسمى العرم لتبدأ عملية الذري بوساطة المذراة الخشبية، كما يستخدم الغربال لتصفية الحب من الأوساخ والأتربة، ويعتمد الفلاحون في أكثر القرى الشامية بشكل كبير(١٠١) على عدد من الحيوانات التي تساهم في أعمال الزراعة مثل الثور والحمار والبغل والخيل وغيرها. (١٠٢)

عرف الشاميون عدداً من الأساليب المستخدمة في الزراعة مثل التباعد في زراعة الأشجار فيما بينها، حيث يشير ابن بصال إلى الطريقة التي تزرع فيها أشجار الزيتون بقوله: "والمسافة بين الغرسة والأخرى عشرون ذراعاً وهو مذهب أهل الشام".(١٠٣) ومارسوا أيضا طريقة التطعيم بجميع أشكاله والترقيد(١٠٤) والتلقيط(١٠٥) ومن خلال

---

(٩٩) التسليف: أن يقوم رجل ذو مال بتسليم صاحب الشجر مبلغاً من المال على أن له ناتج شجرة في هذا العام، للمزيد انظر: حسين، الحياة الزراعية، ص٧١.

(١٠٠) عبد السلام، عادل، جغرافية سوريا، (دمشق، ١٩٧٣م)، ج١، ص٦٤٦-٦٤٧.

(١٠١) الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم العربي، حلب، ج١، ص ١١٤ ؛ حسين، الحياة الزراعية، ص ٨١.

(١٠٢) حسين، الحياة الزراعية، ص٧٧.

(١٠٣) حسين، الحياة الزراعية، ص ٧٤، نقلاً عن ابن بصال، الفلاحة، (طبعة المغرب، ١٩٥٥م).

(١٠٤) الترقيد: تسمى التكبيس، وهي أن يعمد إلى الفروع النابتة في أصل الشجرة في الحفر التي حفرت بمقابلتها ثم يغطى عليها وكأنها زرعت على أن يبرز رأس الفرع من الناحية الأخرى للمزيد انظر: حسين، الحياة الزراعية، ص ٧٥

(١٠٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٦٩؛ حسين، الحياة الزراعية، ص ٧٥

استخدام آلة بذر البذور المصاحبة للمحراث الذي يقوم بحراثة الأرض.(١٠٦)

وتبدأ السنة الزراعية عند الفلاحين في بلاد الشام في شهر تشرين أول، مع ملاحظة اختلاف مواسم الزراعة بين المناطق الشمالية والجنوبية فيما يتعلق بحصاد الحبوب الشتوية، حيث تتأخر في الشمال عنها في الجنوب، واستواء بعض أنواع الفاكهة كالشمام والبطيخ.(١٠٧)

ويضاف إلى ذلك جهود السلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ) (١١٧١-١١٩٣م) في استصلاح وتوسيع رقعة الأراضي الزراعية في مصر وبلاد الشام من خلال بناء السدود وعمل الخزانات وشق القنوات من أجل مواصلة النشاط الزراعي، وإلغاء بعض الضرائب المفروضة على كاهل الفلاحين والمزارعين حيث تشكل الزراعة العمل الرئيسي والمعيشي لسكان بلاد الشام خلال العصر الأيوبي، لاسيما وإن السلطات الأيوبية قامت بتشجيع الفلاحين على الزراعة من خلال تضمينهم الأراضي الزراعية والعمل على استصلاحها مقابل مبلغ محدود(١٠٨).

أنواع المحاصيل الزراعية

الأشجار المثمرة: يعتمد ريّ الأشجار في معظم مناطق الشام على مياه الأمطار، وبنسب قليلة على مياه الأنهار، مثل أشجار التين والعنب والرمان والسفرجل والتفاح والكمثرى،(١٠٩) والأجاص، والتوت،

(١٠٦) حسين، الحياة الزراعية، ص٧٥.

(١٠٧) المرجع نفسه، ص٩٠

(١٠٨) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٣؛ الاوتاني، دمشق، ص٣٤٠.

(١٠٩) الكمثرى: نوع من الشجر المثمر، من الفصيلة الوردية، أصنافه كثيرة، ويسمى الإنجاص في بلاد الشام، انظر: النويري، نهاية الارب، ج١١، ص٨.

والفرصاد(١١٠) والمشمش والخوخ، التي تنتشر زراعتها بكثرة في معظم المدن الشامية . (١١١) ومن الأشجار أيضا الجوز واللوز والفستق والبندق بالإضافة إلى أشجار الحمضيات كالليمون و الأترج والنارنج والكباد والموز . (١١٢) فيما تكثر زراعة أشجار الزيتون في معظم أنحاء البلاد الشامية، يقول ابن جبير في مدينة حماة ونواحيها :"وبخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجرات الأعناب ، وفيه المزارع الكثيرة والمحارث".(١١٣) ثم يضيف ابن بطوطة قائلا:" وبحماة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزي".(١١٤).

وفي الأراضي التابعة لمنطقة شرقي الأردن، أولى أمراء البيت الأيوبي وعلى رأسهم الملك المعظم عيسى العناية بزراعة الأشجار المثمرة، فأصبحت بذلك" تضاهي دمشق في روائها وتدفق مياهها" حيث تزرع أشجار الزيتون والأعناب واللوز في جبال عجلون والبلقاء ومؤاب ووادي موسى(١١٥).

١- الحبوب: إن أهم ما يزرع في بلاد الشام من أنواع الحبوب: الحنطة والشعير والذرة الصفراء والبيضاء والأرز ، حيث تزرع الحنطة على الأغلب في أراضي حوران ووادي العجم وسهول فلسطين والبلقاء ومدينة حلب وضواحيها وقراها الشرقية والجنوبية وغوطة دمشق وغيرها. (١١٦) وتكثر زراعة الشعير في معظم مناطق الشام تقريبا

---

(١١٠) الفِرْصَاد: اسم يطلق على التوت، انظر: المعجم الوسيط: ص٦٨٢.

(١١١) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٣، ص٢٥٨؛ الاوتاني، دمشق، ص ٢١٢-٢١٦

(١١٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٣، ص٢٥٨-٢٥٩

(١١٣) ابن جبير، الرحلة، ص٢٣١

(١١٤) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٦٢

(١١٥) ابن شداد، الأعلاق، ص ٨٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٣٣٤؛ القزويني، أثار البلاد، ص ٢٧٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٠.

(١١٦) الغزي ، نهر الذهب ،ج١ ،ص١٠٢؛ كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص١٧٧-١٧٨

كأراضي دمشق وفلسطين وشرقي الأردن في أراضي البلقاء والكرك والشوبك وإربد والرمثا وشرق جبال عجلون. (١١٧) كما يزرع محصول الذرة في الأراضي التي تسقى من مياه الأنهار، باستثناء الذرة البيضاء التي تنتشر زراعتها في سهول فلسطين وعجلون، ويزرع الأرز في منطقة الحولة. (١١٨)

٢- البقول والخضراوات: تمثل زراعة البقول في بلاد الشام المرتبة الثانية بعد الحبوب المتربعة على قمة المحاصيل الزراعية نظرا لأهميتها الغذائية، واعتماد أهالي الشام عليها في حياتهم المعيشية كالفول والحمص والجلبان والعدس والسمسم والكرسنة والحلبة، حيث تكثر زراعتها في أراضي الغوطة وفلسطين ومنطقة شرقي الأردن(١١٩) ومنها القنبيط(١٢٠) والبقلة اليمانية. (١٢١) ويزرع في حلب السمسم والبطيخ والخيار وجميع أنواع القثاء والدخن والذرة بالإضافة الى أشجار الفاكهة كالمشمش والكرمة والتين والتفاح.(١٢٢) في حين تنتشر زراعة أشجار الزيتون والفستق والسماق والعنب الأحمر في بلاد المعرة(١٢٣). أما جبل لبنان ومدن وقرى بيروت وصيدا وطرابلس فقد انفردت بزراعة أشجار اللوز المر والحلو والقراصيا،(١٢٤) والتين والعنب والزيتون والصنوبر

---

(١١٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٥؛ غوانمة ، الطاعون والجفاف، ص٧٨؛ غوانمة، تاريخ شرق الأردن، ص ٥٥.

(١١٨) كرد علي، خطط الشام،ج٤، ص١٧٧-١٧٨

(١١٩) الغزي ، نهر الذهب، ج١ ، ص١٠٢؛ الاوتاني، دمشق، ص ٢١١-٢١٢

(١٢٠) القنبيط: بقلة زراعية من الفصيلة الصليبية، تطبخ وتؤكل، وتسمى في الشام (القرنبيط)، انظر: المعجم الوسيط، ص٧٦١.

(١٢١) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص ١٥١

(١٢٢) الحموي، معجم البلدان، ص٤٨٤ ؛ الغزي ، نهر الذهب ،ج١ ، ص١٠٢- ١٠٥ ،١٠٧-١١٣

(١٢٣) ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٩

(١٢٤) القراصيا: شجرة تكثر في الشام بينها وبين براري فاران، وثمرتها شبه بالزيتون الكبار منه، انظر: ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٦٤٤.

وقصب السكر، (١٢٥) هذا بالإضافة إلى زراعة أنواع الحبوب كالعدس والكرسنة والفول والوسمة، وكذلك أشجار الحمضيات والتفاحيات كالنارنج(١٢٦) والموز والليمون والتوت والخروب، (١٢٧) ولكثرة البساتين في بعلبك فقد تميزت بزراعة أشجار العنب واللوز والفستق. (١٢٨)

وخصصت أراضي الأودية لزراعة أشجار الفاكهة كالمشمش والكمثرى
والتفاح والخوخ والتين والرمان والأجاص والجوز التي انتشرت بكثرة في أودية حسبان والكرك (١٢٩). وفي الغور يزرع النخيل والموز وقصب السكر، بالإضافة إلى أشجار البرتقال والليمون والنارنج(١٣٠). وبالنسبة للمزروعات الفلسطينية فقد احتلت زراعة أشجار الفاكهة المرتبة الاولى ، حيث التين والزيتون والجميز(١٣١) والعنب والخروب والنخيل في أراضي الخليل ونابلس والرملة وغزة. (١٣٢) قال المقدسي في وصف الرملة :" إنها واسعة الفواكه ولا أحسن ولا أطيب من حواريها ولا ألذ من فواكهها وفيها

---

(١٢٥) ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٨؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة (تاريخ لبنان)، ص٩٨، ١٠٤،١٠١؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٧،٢٠٠.

(١٢٦) النارنج: نبات هندي، شجرة طويلة وورقها لين ملس شديد الخضرة، ورائحتها عطرية، ويتخذ من أوراقها العطرية ماء الزهر، تحمل حملا مدوراً، في جوفه حماض كحماض الاترج، انظر: ابن وحشية ، الفلاحة النبطية، ج١، ص١٧٧؛ النويري، نهاية الارب، ج١١، ص٧.

(١٢٧) خرابشة، نيابة طرابلس، ص ١٥٨-١٥٩

(١٢٨) ابن بطوطة، الرحلة، ص٧٨

(١٢٩) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٢٨ ؛ غوانمة، تاريخ شرق الأردن، ص ٥٥.

(١٣٠) دويكات، فؤاد عبد الرحيم حسن، إقطاعية شرقي الأردن في العصر الحروب الصليبية (رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، اربد)، ص ٢٠٤-٢٠٥

(١٣١) الجميز: شجرة الجميز، تشبه شجرة التين، وتستعمل في الخبز، انظر: ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٦٤٤؛ المعجم الوسيط، ص١٣٤.

(١٣٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٥٧؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق٢ ، ص ٢٣٩؛ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٦-٥٧؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٠؛ ثيودوريش، وصف الاماكن،ص ١٠٩، ١٢٩.

أطعمة نظيفة وأدمات كثيرة جمعت التين والنخيل وانبتت الزروع على البعل وحوت الخيرات".(١٣٣)

ملكية الأراضي ونظام الإقطاع

ليس من إشارة تذكر في المراجع العربية ولا الأجنبية حول أنظمة الملكيّة في بلاد الشام خلال العصر الأيوبي، وقياساً على نظام الملكيّة للأراضي في مصر، يمكننا معرفتها في بلاد الشام، إذ أن من البديهي أن يكون الوضع في بلاد الشام مشابهاً تماماً للوضع في مصر، أي أن الأراضي الزراعية في بلاد الشام كانت تتوزع بين الأراضي المملوكة، والأراضي الإقطاعية، وما بين الأراضي الموقوفة لصالح أعمال الخير، ولكل من هذه الأراضي نظام خاص في دفع الضرائب الزراعية،حيث تدخل تحت مسمى الأراضي العشرية(١٣٤) والخراجية (١٣٥)، يقول المقريزي: " وأما منذ كانت أيام صلاح الدين بن يوسف أيوب إلى يومنا هذا فإن أراضي مصر كلها تقطع للسلطان وأمرائه(١٣٦) وأجناده".

وتشكل الأراضي الزراعية اللبنة الأساسية في بناء الاقتصاد الشامي زمن الأيوبيين، نظرا لما تتمتع بها تلك الأراضي من خصوبة عالية في التربة سواء أكانت سهلية أم جبلية في أراضي دمشق، ثم سهول وجبال فلسطين ولبنان وشرقي الأردن، التي تعتمد على مياه الأنهار والأمطار بشكل كبير في ري المزروعات بجميع أنواعها.(١٣٧) وتركزت

---

(١٣٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٤.

(١٣٤) الأراضي العشرية: هي الأراضي المفروض عليها عشر إنتاجها لصالح بيت المال، وفق أنظمة الدول الإسلامية، انظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم معجم المصطلحات، والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦، ص٢٤.

(١٣٥) كرد علي،خطط الشام، ج٤، ص١٩٢.

(١٣٦) المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، ج١، ص ٩٧.

(١٣٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٥٨– ١٦٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩٠

الأراضي الزراعية في القرى التي تتوسطها وتحيط بها، بالإضافة إلى الحقول البعيدة عن محيط القرية، وقد اعتاد أصحاب الأراضي إلى الخروج في مواسم البذار والإقامة بجانبها في مبانٍ أطلق عليها اسم (الخربة) كما عند فلاحي القرى الفلسطينية خلال الحقبة الأيوبية. (١٣٨)

وقد عرفت بلاد الشام نظام الإقطاع في العصر الأيوبي ابتداء من عهد صلاح الدين الذي خالف ما كان على زمن الأمويين والعباسيين والفاطميين. إذ عرفت بلاد الشام في العهد الفاطمي ما يعرف بنظام إقطاع الاستغلال الذي يقتصر على استغلال الأرض دون ملكيتها، (١٣٩) أما في العهد الأيوبي فقد ظهر النظام الإقطاعي السلجوقي واضحاً عند السلاطين الأيوبيين، وذلك من خلال توزيع الأراضي على الأمراء والأجناد وكبار رجال الدولة ، بصفة غير وراثية باستثناء أبناء السلطان وأقاربه، وكان أمراء الإقطاع يتقاضون جامكيات(١٤٠) أو حصص مقررة من الإقطاع الواقع تحت إشرافه، وقد استحوذوا على القسم الأكبر من الأراضي الزراعية. (١٤١) إذ أبقى صلاح الدين على الإقطاعات التي كانت بأيدي الأمراء النورية، بل وزادهم إقطاعات جديدة في بلاد الشام من أجل المواصلة

---

(١٣٨) عثامنة، خليل، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٢٦٠.

(١٣٩) الطواهية، فوزي خالد، الإقطاع العسكري (الحربي) في بلاد الشام في العصر الأيوبي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، عمان، مج ٦، ع ٣، ٢٠١٢، ص٢.

(١٤٠) الجامكية : لفظ فارسي معرب ، مرتب الجندي أو الخادم، أطلق في العهد العثماني على الأعطيات والمرتبات الشهرية أو السنوية التي كان يتقاضاها الجند . انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص ١١٩.

(١٤١) الدوري ،مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص١٠٢؛ غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ، ص١٣٦؛ خليل، فؤاد، الإقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٧٤ – ١٧٥؛ كاشف، سيدة إسماعيل، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣٧٢؛ سعداوي، نظير حسن، جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩.

في قتال الإفرنج، وكذلك أمراء الغرب في لبنان من آل حجي وغيرهم خلال العهد الأيوبي، وما فعله أبناء العادل مثل المعظم عيسى عندما قام بتوزيع نصيبه من الإقطاعات على أمرائه ومماليكه.(١٤٢)

وأما الأراضي الزراعية التي لم تدخل في سجلات الاقطاع، فقد أصبحت خاضعة لنظام التأجير مقابل الالتزام لمدة لا تزيد عن أربعة أعوام، يراعى بعد ذلك إعادة توزيعها من جديد وبطريقة التأجير نفسها (١٤٣). وهي صغيرة المساحة إذا ما قورنت بحجم أراضي الإقطاعات الممنوحة للأشخاص، وأحيانا ما يلجأ ملاكو الأراضي إلى تشغيل عدد من الفلاحين الذين يتم استقطابهم من القرى والمناطق الأخرى، فالغالب على طابع العمل في قرى الغوطة الزراعية هو الاعتماد على العمال المتنقلين لا المقيمين مقابل أجر معين. (١٤٤)

استأثر أمراء البيت الأيوبي بالإقطاعات ذات المردود المالي الكبير في مصر وبلاد الشام، ثم تابعوا سياسة منح الإقطاعات لكبار رجال الدولة وأعيانها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإقطاع الذي كان يتم توزيعه على أمراء الجيش وعساكرهم هو إقطاع تمليك لا استغلال، إذ يرث بموجبه الأبناء الإقطاع عن الآباء بعد موتهم، فأصبحت أراضي الشام تدخل ضمن إقطاعات المدن والقرى والضياع والمزارع التي منحت للسادة المقطعين في دمشق وحلب وحماة والقدس ونابلس وغيرها من

---

(١٤٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢م، ج٦، ص ١٢٠؛ الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب؛ تحقيق: مديحة الشرقاوي مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٩٩٦م، ص ٦٤؛ طرخان، النظم الإقطاعية، من ٤٠– ٤٣.

(١٤٣) سمنيوفا، ليديا اندرنيغلا، صلاح الدين، والمماليك في مصر؛ ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٩ .

(١٤٤) كرد علي، غوطة دمشق ، ص١٩، ٢٩.

المدن الشامية، التي تجزأت أراضيها وثراها بين المقطعين. (١٤٥) وما يميز الإقطاع الحربي هذا عند الأيوبيين أن إعداد الفرق العسكرية في كل إقطاع، تعتمد بالدرجة الأولى على حجم الإقطاعات العسكرية التي يتم توزيعها على الأجناد، من أجل استيفاء عوائدهم النقدية والعينية، و كذلك من أجل القيام بعبء الحروب سواء التي تدور رحاها بين الإمارات الدويلات الأيوبية أو عند إرسالهم للانضمام إلى الجيش الأيوبي في مقاومة الأعداء، ويتوقف مدى قوتها واستمرارها في مواصلة الحروب على تمويلها ، إما من قبل أمير الإقطاع، أو بتموين الأجناد أنفسهم بالميرة والعلوفة وذلك من خلال العودة إلى إقطاعاتهم والعمل فيها فور انتهاء مدتهم في خدمة الحملات الحربية(١٤٦).

ويجب التنويه إلى أن انتقال ملكية الأراضي في القرى الشامية من صاحبها الإقطاعي إلى المالكين من الأهالي كانت تتم عن طريق عمليات البيع والشراء، مثل انتقال أملاك محمد بن شاهنشاه ابن الأمجد بهرامشاه من الأراضي إلى مالكين آخرين في قرية جسرين(١٤٧)، هذا إذا لم تكن

---

(١٤٥) ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠، ج٩، ص١٧٢-١٦٧-١٦٤؛ ابن أبي جرادة ، كمال الدين عمر بن أحمد زبدة الحلب من تاريخ حلب؛ تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربين دمشق، ١٩٩٧،ج٢، ص ٦٣٨-٦٣٩؛ ابو شامه ، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م،ج٤، ص٤٤٠،٤٥٠؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب؛ تحقيق: جمال الدين الشيال(طبعة، ١٩٦٠م)، ج٣، ص٤٣ ،٥٢ ؛ بني عيسى، عبدالمعز عصري، الموارد والنفقات في الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، (رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٩م ، ص١٥٧-١٥٨.

(١٤٦) الأصفهاني، عماد الدين، الفتح القسي في الفتح القدسي؛ تحقيق: محمد صبح، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٩٢ ؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٥ هاملتون آ. ر. جب، صلاح الدين الأيوبي؛ تحرير: يوسف أيبش، بيسان للنشر، بيروت، ط ٢، ص ١٩٩٦، ص ١٨٦.

(١٤٧) جِسرِين: من قرى غوطة دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ١٤٠.

أراضي القرية الواحدة تابعة لعدد من السادة الإقطاعين الذين يشتركون في نسب معينة من محاصيل القرية ومداخيلها. (١٤٨).

وفيما يلي ذكر لأهم الإقطاعات في بلاد الشام خلال الحكم الأيوبي، ومتضمناً الحديث عن الآلية التي تم من خلالها توزيع تلك الإقطاعات على أربابها.

(١٤٨) عثامنة ، فلسطين، ص٢٦١

أولاً: إقطاعات الأمراء الأيوبيين

حصل أيوب والد صلاح الدين على إقطاعات في بلاد الشام من قبل عماد الدين زنكي سنة ٥٣٤هـ/ ١١٤٠م، وانتقلت بدورها إلى صلاح الدين، بعد أن أصبح من أمراء جيش السلطان محمود نور الدين زنكي(١٤٩)، وزادت الإقطاعات الممنوحة لصلاح الدين بعد التحاقه بالخليفة العاضد الفاطمي في الديار المصرية وذلك بعد أن استوزره فترة من الوقت إلى أن آلت إليه السلطة بعد القضاء على الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م، فأصبحت أراضي مصر تحت سيطرة الأيوبيين.(١٥٠)

أ) **دمشق:**

بعد أن تمكن صلاح الدين من سيطرته على الديار المصرية، ووفاة السلطان محمود نور الدين زنكي، اتجه لضم بلاد الشام، ثم بدأ بتوزيع الإقطاعات على الشكل الآتي :

تم تعيين ابن المقدم على ولاية دمشق منذ عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م، بعد تنازله عن إقطاعه في بعلبك لتورا نشاه شقيق صلاح الدين(١٥١)، وقام صلاح الدين بتعيين ابن أخيه فروخ شاه قائداً لعسكر دمشق ووالياً عليها إلى جانب ابن المقدم، والذي بلغ عدد جنده (أي جند دمشق) نحو ١٠٠٠ جندي(١٥٢)، طلب صلاح الدين منهم الزحف، بأن يزحفوا بالجيش باتجاه الشمال للدفاع عن حصن رعبان ضد سلطان سلاجقة الروم(١٥٣).

---

(١٤٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٩٥ – ٢٩٦؛ زابوروف، الصليبيون، ص ١٨٩.

(١٥٠) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣٠٤ – ٣٠٩.

(١٥١) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٥٠، هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٠.

(١٥٢) البنداري، الفتح بن علي، سنا البرق الشامي؛ تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٦١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٦٦.

(١٥٣) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٦٦-١٦٧

وفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م آل إقطاع دمشق وأعمالها إلى ابنه الأفضل علي(١٥٤)، وبعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، أصبحت الإمارات الأيوبية تعاني من التجزئة والفوضى بسبب الاضطرابات السطحية التي نتجت عن الصراعات بين أمراء البيت الأيوبي، والقيام بتشكيل تحالفات لا سيما بين دمشق وحلب للتصدي لأطماع حكام مصر(١٥٥)، إلا أن الأمر لم يطل كثيراً بالنسبة لصاحب دمشق الذي تم طرده من إقطاعه ، وتسليمه لعمه العادل سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م. (١٥٦) وبعد وفاة العزيز عثمان وتولي العادل عرش السلطنة، أعطى دمشق لابنه المعظم عيسى سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩.(١٥٧) وفي عهد السلطان الكامل تنازل الناصر داود عن دمشق لعمه الأشرف موسى بعد الحصار الذي فرض عليها سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م وخلف الأشرف في إقطاع دمشق بعد وفاة أخيه الصالح إسماعيل سنة٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م ، ثم سلمها بدوره إلى المظفر أمير حماه ، وبعد وفاة السلطان الكامل تم منح إقطاع دمشق إلى الملك الجواد يونس حفيد العادل سنة٦٣٦ هـ/١٢٣٨م، ثم تنازل عنها الجواد للصالح أيوب مقابل إقطاعه بعض النواحي في بلاد ما بين النهرين، وذلك بسبب الخوف من هجوم الجيش المصري المحتمل بالاتفاق مع الناصر داوود على دمشق، ثم استولى عليها المغيث عمر سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، بعد أن سقط الصالح أيوب أسيراً في أيدي قوات الناصر داوود، وسجنه في الكرك، وتم الاتفاق بعد ذلك بين الناصر

---

(١٥٤) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٤.

(١٥٥)؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ص٤٣٩؛ ابن شداد، الأعلاق، ج٢ ق ٢، ص٥٨٠ ؛ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م ص٢٠٠١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٢،

(١٥٦)،المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك؛ تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص ١٣٦ ؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٥؛ طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م. ص٤٣

(١٥٧)هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٦-٢٠٧).

داوود والملك المظفر تقي الدين الثاني صاحب حماة على إعطاء الأول دمشق مقابل مساعدته في فك أسر الصالح أيوب، وتنصيبه سلطاناً على مصر بدلاً من السلطان العادل الثاني الذي بدّد أموال الدولة التي تركها والده والتي تقدر بـ(ستة ملايين دينار وعشرين مليون درهم). (١٥٨)

وتمكن السلطان الصالح أيوب من الاستيلاء على دمشق سنة٦٤٣هـ/١٢٤٥م بمساعدة العساكر الخوارزمية، وعين في دمشق معين الدين الشيخ حاكما عليها سنة٦٤٤ هـ /١٢٤٦م، وفي سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م دخلت دمشق تحت سلطة الناصر يوسف صاحب حلب، بعد أن تلقى دعوة من عساكرها لتسلم المدينة، وبقيت في حكمه حتى دخلت في حكم المغول سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م، ثم أصبح إقطاع حلب وما تبعها من أعمال مثل: حران وتل باشرو عزاز ومنبج للملك الظاهر غازي(١٥٩).

ب) حلب:

قام صلاح الدين في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م بتوزيع أراضي حلب كإقطاعات على أجناد الجيش التابع له. (١٦٠) ثم منحها لابنه الظاهر غازي ، غير أن هذا الترتيب قد قوبل بالتحدي من قبل أخيه العادل الذي طالب المقايضة في حكم حلب مقابل مصر، فوافقه صلاح الدين على ذلك من خلال الوثيقة التي اشتملت على عبارات المودة الأخوية والمتضمنة تعيينه حاكماً على حلب وله سلطات غير مقيدة(١٦١). وخلال مرض

(١٥٨) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣

(١٥٩) طرخان، ص٤٢؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٨- ٢٣٤.

(١٦٠) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٨.

(١٦١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٠؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٤٤-١٤٥، طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٨-٣٩؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٥

صلاح الدين عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م، تم رد إقطاع حلب إلى الملك الظاهر غازي، بينما أعيد العادل إلى مصر وتم منحه بعض الاقطاعات (١٦٢).

أقطع صلاح الدين حلب سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م بعد الاستيلاء عليها من الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان نور الدين، لابنه الظاهر، ثم لأخيه العادل في السنة نفسها (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، ثم عادت للظاهر غازي سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، وقد بلغ عدد عساكر حلب التي تشارك إلى جانب جيش السلطان في حروبه نحو ١٠٠٠ جندي(١٦٣).

وقام صلاح الدين قبل وفاته سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م بتوزيع الولايات الأيوبية على أفراد العائلة الخاصة مانحاً إياهم سلطات غير مقيدة من أجل ممارسة السيادة منها: حلب وأعمالها التي جعلها من نصيب ابنه الظاهر غازي إلى جانب إقطاعات في دربساك وبولص وتل باشرو أعزاز وشيزر وحارم والروانـدان وتل خالد ومنبج وبعرين وبالس وبرزية والتي حصلت على الاستقلال الذاتي عن جسم الدولة الأيوبية ، ويعود السبب في ذلك إلى التجزئة في البلاد الشامية نتيجة الفوضى والاضطرابات التي سببتها الصراعات داخل الأسرة الأيوبية وبروز المطامع لدى بعض أبنائها، ومحاولة صاحب حلب الدفاع عن إقطاعه ضد أصحاب الإقطاعات في مصر و بلاد ما بين النهرين(١٦٤)واستمر الملك الظاهر غازي في إقطاع حلب عبر فترات حكم كل من السلاطين العزيز عثمان والعادل (١٦٥) ثم آل حكم حلب إلى الملك الأشرف موسى منذ سنة٦١٥ هـ/ ١٢١٨م، بعد أن تمكن من الدفاع عنها أمام هجمات

---

(١٦٢)، ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن موسى بن رافع، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة الخانجي، ط٢، ١٩٩٤م، ص١١؛ ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص٥٦٢ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٤٥.

(١٦٣) ابن أبي جرادة، زبدة حلب، ج٢،ص ٥٦٢، أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٢٥، ١٥.هاملتون، صلاح الدين، ص ١٧٠.

(١٦٤) ابن أبي جرادة، زبدة حلب، ج٢،ص ٦٠٠؛ أبو شامة، الروضتين، ج٣، ٢٤٠؛ ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص١٧٩؛ الغزي ، نهر الذهب، ج١ ص٣٨٠؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٤.

(١٦٥)فضل ابن العمري، مسالك الأبصار، مج٢٧؛ ص١٩٠-١٩١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٦

جيش السلطان السلجوقي كيكاوس، فيما استولى المعظم عيسى سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م على مناطق معرة النعمان والسلمية من أعمال حلب، بعد الخلاف الذي نشب بينه وبين تحالف السلطان الكامل مع أخيه الملك الأشرف موسى(١٦٦).

واعترف المعظم عيسى بسيادة جلال الدين (شاه خوارزم) على حلب وعلى جميع الإقطاعات الشامية التي يمتلكها المعظم عيسى وذلك في سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، وبعد موت العزيز محمد ، آل حكم حلب سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م إلى ابنه الناصر صلاح الدين يوسف تحت وصاية جدته ضيفة شقيقة السلطان الكامل التي تحالفت مع الأشرف موسى لحمايتها من أخيها الكامل. وتنازل الناصر يوسف بدوره عن تل باشر من أعمال حلب للأشرف موسى الثاني بدلا من إقطاع حمص(١٦٧) .

ج) حماة:

قام صلاح الدين بتعيين تقي الدين على حماة سنة٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م، (١٦٨) وفي أثناء مرض صلاح الدين سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، تم إعادة توزيع الاقطاعات في بلاد الشام ، حيث أعيد تعيين تقي الدين على إقطاعاته في الشمال وحماة ومنبج والمعرة ، بالإضافة إلى ميافارقين(١٦٩) .

---

(١٦٦)هاملتون، صلاح الدين، ص ٢١٥.

(١٦٧) هاملتون، صلاح الدين، ص٢١٥- ٢٢٠- ٢٢٩.

(١٦٨) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٧؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٠.

(١٦٩)ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر، مضمار الحقائق وسر الخلائق؛ تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٠٠-١٠٤ ؛ ابن الأثير، الكامل ، ج٩،ص١٧٣؛ البنداري، سنا البرق،ص٢٣٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٢٢٦؛ المقريزي، السلوك،ج١، ص٥٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٩٤ .

وولّى صلاح الدين على حكم حماة سنة٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م، خاله شهاب الدين محمود الهارمي، وخلفه بعد وفاته في سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م،الأمير ناصر الدين منكورس ابن الأمير خمارتكين ابن أخي صلاح الدين تقي الدين عمر ، وذلك من أجل الإعداد لمواجهة الخطر الفرنجي المحتمل.(١٧٠) ثم آلت حماة بعد وفاة تقي الدين إلى ابنه المنصور ناصر الدين محمد سنة ٥٧٨هـ/١١٩١م(١٧١)، وأضيفت إليه إقطاعات في سلمية ومبنج وقلعة نجم في عهد السلطان العادل منذ سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ، وحدث أن قام الابن الأصغر لتقي الدين ويدعى قلج آرسلان، باغتصاب حكم حماة لنفسه، ثم عادت إلى سيطرة المظفر تقي الدين الثاني سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م بمساعدة السلطان الكامل ، وبعد وفاة الأشرف موسى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ، تم تسليم إقطاع دمشق إلى صاحب حماة المظفر تقي الدين الثاني(١٧٢). وعندما داهم المغول البلاد الشامية سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، استمر آل تقي الدين في حكم حماة بعد تحالف صاحبها المنصور الثاني مع المغول، وظلت هذه الأسرة تحكم حماة في ظل دولة المماليك حتى سنة٧٤٢هـ/١٣٤١م ، وذلك لما بذله صاحبها في تقديم الخدمات والإخلاص لسلاطين المماليك(١٧٣).

د) حمص:

منح صلاح الدين سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م إقطاع حمص لنصير الدين ابن شيركوه من أجل كبح جماح ريمون الصنجيل صاحب طرابلس (١٧٤)

---

(١٧٠) ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٢٩٠؛ هاملتون، صلاح الدين، ص١٦٦؛ الاوتاني، دمشق، ص٢٩٨.

(١٧١) أبو الفداء، المختصر،ج٢، ص١٦٧؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٨، ص ٢٩٥ ؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٦٤؛ ؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدسر، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين؛ تحقيق: محمد كمال الدين علي، بيروت، ١٩٨٥م، ج٢، ص١٩؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ٤٢-٤٣؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٢-٢٠٣

(١٧٢) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٦- ٢١٧- ٢٢٠.

(١٧٣)؛ الحنبلي شفاء القلوب، ص ٢٧٣؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٣٤-٢٣٥

(١٧٤) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٠.

).وبعد الحملة التي قام بها صلاح الدين في المناطق الشمالية لبلاد الشام ما بين عامي (١١٧٥-١١٧٦)، أقطع صلاح الدين حمص وأعمالها والرحبة وتدمر وسلمية إلى ابن عمه القاهر ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ثم استمر في حكم الإقطاع بعد وفاته ابنه أسد الدين شيركوه سنة ٥٨١هـ /١١٨٥ م والبالغ من العمر اثنتا عشرة سنة، وقد بلغ عسكر شيركوه عند توليه الإقطاع في حمص نحو (٥٠٠ جندي).[١٧٥] ثم آل حكم حمص بعد ذلك إلى الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن السلطان العادل،ومن ثم أقطعت لصاحب حماة الملك المنصور محمد بن تقي الدين في عهد السلطان العادل، وبقيت ضمن أملاكه حتى سنة ٦٤٥هـ /١٢٤٧م، حينها استولى عليها الناصر يوسف، وتم تعويض صاحبها الأشرف موسى الثاني بإقطاع تل باشر، وبقيت في أيدي الناصر حتى سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠ م،ثم خرجت نهائيا من أيدي الأيوبيين سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م، بعد أن استولى عليها المماليك في عهد السلطان الظاهر بيبرس [١٧٦].

هـ) بصرى:

أقطع صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م بصرى وأعمالها لابنه الملك خضر، واستمر في حكمها حتى بعد وفاة والده، على أن يكون في خدمة أخيه الملك الأفضل نور الدين[١٧٧] ، ثم انتقل حكمها إلى الملك الصالح اسماعيل ابن السلطان العادل، واستمر في حكم بصرى حتى سنة

---

(١٧٥)، أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص ١٦٤؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢،ص٣٥؛ النويري، نهاية الأرب ج٢٨،ص ٢٩٥ ، طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٩-٤٣ ؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٦.

(١٧٦) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٦- ٢٢٩- ٢٣٤.

(١٧٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٧؛ ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر، تاريخ ابن سباط؛ تحقيق: عمر تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس، د. ت، ج١، ص٢٠٩؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٣ – ٤٥ ؛ مجير الدين الحنبلي، أبو اليمن، الإنس الجليل بتاريخ القدس، ص ٣٥٠-٣٥١؛.

٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م ، حينها خضعت تحت حكم السلطان الصالح أيوب[١٧٨].

و) بعلبك:

انتقلت إدارة بعلبك الى تورانشاه بعد أن طلبها من أخيه صلاح الدين سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، وكانت قبل ذلك تحت حكم الأمير ابن المقدم، ثم تنازل عنها تورا نشاه في سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩، إلى عز الدين فخر شاه ابن شاهنشاه أيوب ، وأعطاه الإسكندرية مقابل ذلك [١٧٩].

وأبقى صلاح الدين بعلبك سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣ بيد الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فخر خشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وظلت بيده حتى بعد وفاة صلاح الدين[١٨٠].

وفي عهد السلطان الصالح أيوب، أصبحت بعلبك ضمن أملاك الملك الصالح إسماعيل وذلك في سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م[١٨١] ثم آل حكمها سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م إلى معين الدين الشيخ الحاكم المعيّن على دمشق من قبل السلطان الصالح أيوب بعد فرار صاحبها إلى حلب[١٨٢].

ثانياً: إقطاعات الغرب (بيروت):

أقرّ صلاح الدين أمير العرب حجي بن كرامة على إقطاعه في بيروت منذ فتحها سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م كمكافأة له لقاء خدماته في التصدي للإفرنج [١٨٣]، وجاء ذلك من خلال المنشور الذي صدر سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، ومضمونه: " بإجراء الأمير جمال الدولة حجي بن كرامة على ما بيده من جبل بيروت من أعمال الدامور لما وصل إلى

---

(١٧٨) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١٧٤، هاملتون، صلاح الدين،ص ٢٢٩.

(١٧٩) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٧ ، هاملتون، صلاح الدين،ص٢٠٣.

(١٨٠) ابن شداد، الاعلاق، ج٢، ق٢، ص٤٩؛ ابن واصل ، مفرج الكروب،ج٢، ص٨٦؛ الحنبلي، شقاء القلوب، ص ٢٨٧؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٥٠٩؛ طرخان، ص٤٠ ؛ جبران، دراسات ص ١٣٥.

(١٨١) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١٧٩، ١٧٤، هاملتون، صلاح الدين، في ٢٢٨.

(١٨٢) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٩.

(١٨٣) طرخان، النظم الإقطاعية،ص٤٠.

الخدمة السلطانية ... وهو ملكه وراثة عن أبيه وجده وهي: حصن سرحمور وعين كسور ورمطون والدوير وطردلا وعين ردافيل وذلك حبساً منا عليه واحتساباً إليه بمناصحته وخدمته ونهضته في العدو المثاغر له "(١٨٤) . وسار الملك الأفضل نور الدين علي على نهج والده في إبقاء أمراء الغرب على ما بأيديهم من إقطاعات من أجل مساعدته في الصراع ضد أخيه السلطان العزيز عثمان، وذلك من خلال الرد على الكتاب الذي وصله من حجي بن كرامة، إذ حثّه فيه على الجهاد، مقابل إقطاعه الغرب جميعه (بيروت)، له ولمن يخلفه من أقربائه، وكان ذلك في سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م(١٨٥). واستمر آل حجي في إقطاعاتهم التي في جبل بيروت وأعماله، ومما يؤكد ذلك المنشور الذي بعث به الملك العزيز عثمان إلى أحد عماله بإجراء الأمير حجي على ما بيده من أعمال. وقد ظلت الإقطاعات الغربية في أيديهم على عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي أقرهم بدوره على ما في أيديهم من إقطاعات، وذلك من خلال الكتاب الذي أرسله الصالح أيوب سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م إلى الأمير نجم الدين محمد بن حجي، وقد أثنى فيه على حسن خدماته وطاعته، وأمره أن يبقى على عادته القديمة في مثاغرة الإفرنج مع الزيادة في الأموال المرتبة له ولأعوانه، ومن المضمون المنشور: " يعلم الأمير نجم الدين شكرنا لخدمته ومضاء عزمته وطاعته وولائه... وثيق منا بإجرائه على مستقر قاعدته والإحسان الذي تقر به عينه، والزيادة في معلومه له ولمن معه". (١٨٦)

أما السلطان الصالح أيوب سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م فقد أقطع عدة مناطق في الجهة الغربية من جبل بيروت لأحد أمراء الغرب ويدعى زين الدين بن علي، و التي اشتملت على مناطق : القماطية ومزارعها،

---

(١٨٤) ابن بحتر، صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، المطبعة الكاثولكية، بيروت، ١٨٩٨م، ص ٧٥- ٧٦.

(١٨٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦،ص١٢٠ ؛ ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص٧٧؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٤٣.

(١٨٦) ابن بحتر، تاريخ بيروت ، ص ٧٧- ٨٠؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٥

وشملال ومزرعتها، وبيصور ومزارعها ومجدليا و الدوير وثلث عرمون ومزارعها وكيفون ومزرعتها، وفي الجهة الجنوبية مناطق بناشر بأكملها وكفر عمية ومزرعتها، وذلك مكافاة لخدماته ، وتشجيعاً له بالاستمرار بالمحافظة على الثغور المتولي أمرها (١٨٧). وفي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م صدر منشور آخر من الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق، تضمن التوقيع لجمال الدين حجي بإجرائه وإشرافه على إقطاعه وعوائده الذي يشتمل على: عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومرتعون والصباحيّة وعين عنوب والدوير وغيرها"(١٨٨).

ثالثاً: الإقطاعات في فلسطين:

دخلت يافا في إقطاع العادل بعد استردادها من الإفرنج سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م، ثم تنازل عنها سنة٦٠١هـ/ ١٢٠٤م للافرنج مقابل السلام، وفي سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م تنازل السلطان الكامل عن القدس للامبراطور فردريك، بالإضافة إلى جزء من فلسطين، ثم إعادة السيطرة عليها سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م بعد أن احتل بجيشه القدس ونابلس و استرجعهما من الناصر داوود، وفي سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م منح السلطان الكامل عدة إقطاعات في فلسطين الشرقية للناصر داوود، اشتملت على مناطق: نابلس وناحية القدس مقابل تسليمه دمشق، فيما أصبحت مناطق فلسطين الغربية ، ومنها: طبريا من أملاك السلطان الكامل، و ذلك حتى تبقى وسيلة لكي يأمن بها الواحد منها جانب الآخر من جديد. وفي عام ٦٣٧ هـ/١٢٣٩م تمكن الناصر داوود من استعادة القدس من أيدي الإفرنج (١٨٩). ثم آلت فلسطين بعد ذلك إلى حكم السلطان الصالح أيوب سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م ،فقام الأخير بمنح الإقطاعات في

---

(١٨٧) الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان؛ في جبل لبنان؛ تقديم: فؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، د. ت، ص ٢١٩؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٥.

(١٨٨) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٨٠- ٨١.

(١٨٩) هاملتون،صلاح الدين، ص ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢.

مناطق فلسطين الغربية للعساكر الخوارزمية مقابل منعهم الدخول الى دمشق، وحدث أن تحالفت هذه القوات مع الناصر داوود صاحب الكرك، ونجح بمساعدتها من استرجاع إقطاعات القدس ونابلس والخليل، وورثها من بعده الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب، إذ دخلت مناطق فلسطين في حكمه منذ سنة٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م، ثم تنازل عن القدس لعز الدين أيبك سنة ٦٥١ هـ/١٢٥٣م، والذي نصّب سلطانا على مصر بعد زواجه من شجرة الدر، وفي سنة ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م تخلى عز الدين أيبك عن مناطق فلسطين لصالح الناصر يوسف بعد التوقيع على معاهدة الصلح بين الطرفين (١٩٠).

رابعاً: الإقطاعات في شرقي الأردن:

كانت مناطق: الكرك والشوبك والسلط والبلقاء من نصيب العادل شقيق السلطان صلاح الدين منذ دخولها تحت السيطرة الأيوبية سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤م (١٩١)، ولم تكن تلك المناطق ، بالإضافة إلى حران والرها وجعبر و سميساط ، ضمن الاقطاعات التي صدر في حقها قرار صلاح الدين بسحبها من العادل، شريطة أن يحمل من تلك الإقطاعات المذكورة نحو (ستة آلاف أو عشرة الاف غرارة) إلى القدس(١٩٢)

واتبع أبناء العادل في عهده وبعد وفاته ، سياسة توزيع أنصبتهم من الإقطاعات على أمرائهم، إذ قام المعظم عيسى بتوزيع البلاد الشامية على مماليكه ، و حدث عندما توجه السلطان العادل لقتال الافرنج سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م أن قام بتأنيب ابنه وقال له: " بمن أقاتل؟ أقطعت الشام مماليكك وتركت أولاد الناس". (١٩٣) وكان الملك المعظم عيسى قد تم

---

(١٩٠) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٢٨، ٢٣٢- ٢٣٤

(١٩١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٦ ،ص١١٠؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٨.

(١٩٢)؛ أبو شامة ، الروضتين، ج٣،ص١٢٥-١٦٥؛ ابن شداد، النوادر السلطانية،ص١١١

(١٩٣) الحنبلي شفاءالقلوب،ص٦٤ ؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٤.

تعيينه قبل ذلك نائباً في ولاية الكرك عن والده العادل الذي كان حاكما على بلاد الجزيرة وأعالي مابين النهرين وديار بكر، أثناء فترة حكم السلطان صلاح الدين، وظلت إقطاعات شرق الأردن تابعة لحكم العادل الذي كان يشغل منصب المستشار الرئيسي لصلاح الدين،(١٩٤) ثم انتقلت إقطاعات شرقي الأردن في الكرك والشوبك بالإضافة إلى دمشق وأعمالها وبيت المقدس وطبرية وصرخد واللاذقية وجبلة ، وغير ذلك من الحصون إلى ابنه المعظم عيسى سنة ٦١٥هـ / ١٢٦٨م، ثم إلى الناصر داوود الذي رفض طلب السلطان الكامل في التخلي عن حصن الشوبك سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م (١٩٥) ، و أضيف إلى الناصر داوود أيضا إقطاعات أخرى في دمشق وفي منطقة شرقي الأردن وفلسطين الشرقية مقابل الموافقة على تسليمه الحصن لأخيه السلطان الكامل سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م (١٩٦).

ولم يبق للناصر داوود من إقطاعات في شرقي الأردن خلال حكم السلطان العادل الثاني ، ومن بعده الصالح أيوب، باستثناء الكرك الذي تنازل عنها الأمجد حسن بن الناصر داوود سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩ مقابل الحصول على إقطاع في مصر وأموال بلغت خزانتها نحو(مليون ومئتي ألف دينار). (١٩٧) وآل إقطاع شرقي الأردن منذ سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى المغيث عمر ابن العادل الثاني، حتى خرجت نهائيا

---

(١٩٤) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٢- ٢٠٤-٢٠٥

(١٩٥)ابن شداد، الأعلاق، ج٢، ص٦٠-٦٤، ٨٠-٩٩ ؛ اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م،ج٤،ص٢٥؛ ابن دقمان، الجوهر الثمين،ج٢،ص٢٦.

(١٩٦)ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت،مج٣،ص٤٩٦ ؛ابن سباط، تاريخ،ج١، ص٢٩٦,٣٠٤؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢١٧

(١٩٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص ٧٤- ٧٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٧٩؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢٢١,٢٢٩ .

من السيطرة الأيوبية ، بعد أن استولى عليها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ومقتل صاحبها المغيث عمر(١٩٨).

خامساً: إقطاعات أمراء الدولة وقادة الجيش:

أصبحت المؤسسة العسكرية خلال العهد الأيوبي تسير على النهج السلجوقي كما ذكر سابقاً، إذ طبق نظام الإقطاع العسكري، وتم منح قائد كل مجموعة عسكرية سواء أكانت تركمانية أو كردية أو غير ذلك ، قطعة من الأرض، تغطي مردودها نفقات القائد ومقاتليه، إذ وجد صلاح الدين أن توزيع الأراضي بهذا الشكل يضمن له تغطية نفقات الجيوش المالية من أجل الوقوف في وجه الافرنج(١٩٩). ومن الأمثلة على ذلك قيام صلاح الدين بإقطاع بعلبك للأمير شمس الدين محمد بن عبد الله ابن المقدم ، وظلت بيده حتى سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، حيث أخذها تورا نشاه بعد التنازل عنها من قبل ابن المقدم (٢٠٠)، والقبول بإقطاعات في حصن بعرين وأعماله وكفرطاب ونواح وقرى من بلدة المعرة، وفي سنة٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م أسند إلى ابن المقدم ولاية دمشق، ثم قام صلاح الدين بتوزيع أراضي حلب في تلك السنة كإقطاعات على كبار الضباط في الجيش الأيوبي، وأسند إدارة إقطاع حماة بعد الاستيلاء عليها سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م إلى شهاب الدين الهارمي، وظلت بيده حتى توفي سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩ (٢٠١).

ومن الأمراء الذين حازوا على الإقطاعات في العهد الصلاحي الأمير حسام الدين بن عمر بن محمد بن لاجين الذي منحه صلاح الدين إقطاع نابلس وأعمالها سنة ١١٨٧/٥٨٣م، ثم الأمير سيف الدين علي بن أحمد بن مشطوب الهكاري الذي أقطعه صلاح الدين سنة ٥٨٧هـ/١١٩١، القدس وخبز يعمل في السنة بنحو(٣٠٠,٠٠٠) الف

---

(١٩٨) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٣٢- ٢٣٥

(١٩٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣١٢.

(٢٠٠)؛ البنداري، سنا البرق، ص١٥٨؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٧

(٢٠١) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج ٦، ع ٣، ص ٨، هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٣- ١٣٨، ١٦٦

دينار، وكان إقطاعه في نابلس وأعمالها ، ثم أصبح الإقطاع لابنه عماد الدين أحمد يقتصر فقط على ثلثي نابلس منذ سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢(٢٠٢)، وكان والده قد حصل على إقطاع بيروت في سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧م، وأقطع صلاح الدين الأمير حسام الدين أبا الهيجاء السمين (مقدم الأمراء الأكراد والأسدية) نصيبين سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. (٢٠٣) ،فيما كان إقطاع تل باشر من نصيب الأمير بدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق، وحصل الأمير سابق الدين عثمان بن الداية على شيرز وأباقبيس، والأمير ناصر الدين ابن كورس على إقطاعات في صهيون وبرزية، وأقطع صلاح الدين بغراس وكفر طاب وفامية للأمير عز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم، وكوكب وعجلون للأمير عز الدين أسامة، الذي تولى الحكم في إقطاع بيروت فترة زمنية قصيرة ، حتى خرجت من سيطرة المسلمين سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م، و ظل هؤلاء الأمراء على رأس إقطاعاتهم حتى وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٩هـ/١١٩٣م.(٢٠٤)

ووزع صلاح الدين الإقطاعات على من انضم إليه من الأمراء الذين ساعدوه في فتوحاته في البلاد الشامية، كما أقرّ عدداً من الأمراء النورية على ما بأيديهم من الإقطاعات، وزادهم إقطاعات جديدة ، وذلك بسبب انحيازهم إلى جانبه منذ سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، والمساعدة في حروبه ضد الإفرنج، ومن هؤلاء الأمير علم الدين سليمان بن جندر في حلب الذي أقطعه حصن در بساك سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م، بالإضافة الى بلدة أعزاز سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣، فيما أقر الشيخ إسماعيل على ما بيده من إقطاعات في مدينة عينتاب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، بعد أن دخل في خدمته. وأبقى صلاح الدين الأمراء الزنكيين على ما بأيديهم من إقطاعات

---

(٢٠٢) أبو شامة، الروضتين،ج٣،ص٢٠٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج٢،ص١٤٢؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١٨٢؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع ٣، ص ٨.

(٢٠٣) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٣٥؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠

(٢٠٤) ابن شداد، الاعلاق،ج٢، ق ٣،ص ١٦١،٨٦؛ ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٣٥، ٣٨؛ جبران ، نعمان محمود، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة حمادة، اربد، ٢٠٠٠م، ص١٣٥.

بعد خضوعهم إلى طاعته نذكر منهم: الأمير عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب سنجار، وأخوه الأمير عز الدين مسعود الذي أقره على الموصل سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م(٢٠٥).

أما العادل فقد منح أمراء الأسدية في مصر الأموال ، وبعض الإقطاعات عند قدومهم إلى البلاد الشامية بعد خلافهم مع السلطان العزيز عثمان سنة٥٨٩هـ/١١٩٣م، الذي قدمّ عليهم أمراء الصلاحية(٢٠٦)، وأقطع الأمير ابن قراجا من مقدمي المماليك الصلاحية قلعة صرخد، وظلت في يده حتى سنة ٦٠١هـ /١٢٠٤م، وأقطع العزيز عثمان من جهته مدن نابلس وأعزاز للأمير فارس الدين ميمون القصري سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣، بينما أقطع ابنه المعظم عيسى إقطاعاً للأمير ابن قراجة مقابل التنازل عن إقطاعه في قلعة صرخد سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م، ومنح كذلك الأمير فتح الدين أحمد سعد الدين ابن ثميرك نحو(٧٠) ضيعة من خبز قبة الصخرة في نابلس والقدس، مقابل التنازل عن إقطاعات صفد وطبريا (٢٠٧)، وأقطع الملك المنصور صاحب حماة مدينة منبج للأمير ابن المقدم بدلاً من إقطاع بارين(٢٠٨).

سادساً: إقطاع الأجناد

وأما الأجناد فقد كانوا شركاء في الإقطاعات الممنوحة للأمراء سواء أكانوا من البيت الأيوبي أم من أمراء الدولة العسكريين، فهذا صلاح الدين عندما أقطع سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب عدة مناطق في بلاد الشام والتي اشتملت على: حران والرها وسميساط وحماة والمعرة وسلمية ومنبج وجبلة واللاذقية.....الخ،

---

(٢٠٥) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠- ٤١ .

(٢٠٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ح٣، ص ١٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٤١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١١٢- ١١٣.

(٢٠٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق٢، ص ١٣٣، ١٤٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٤٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٨٧.

(٢٠٨) ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص ٦٠١، ٦١٠.

أمره بأن يقطع البلاد للأجناد من أجل إعداد الجيوش لمحاربة الافرنج (٢٠٩)، وكذلك فعل مع بقية الأمراء مثل: الأمير حسام الدين ابن الهيجاء، وسيف الدين ابن المشطوب عندما منح الأول إقطاعات في نابلس وأعمالها، والآخر نصيبين بعد فتحها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م وغيرهم من أمراء الإقطاع (٢١٠)، وسار جميع من جاء بعد صلاح الدين في منح الإقطاعات الحربية على الأمراء والأجناد حتى لو كان الأمير أجنبيا عن البلاد ، وطلب الدخول في خدمة الدولة الأيوبية، وما دام يقوم بتأدية خدماته الحربية ، بل والزيادة في إقطاعاته إذا ما أحسن بلاءً في الحروب(٢١١).

وهذا العادل شقيق صلاح الدين قد منح بدوره إقطاعات حربية لأمراء الأسدية وأجنادهم الذين قدموا الشام بعد الخلاف مع السلطان العزيز عثمان(٢١٢). ومن بعده جاء ابنه المعظم عيسى الذي قام بتوزيع ما بيده من إقطاعات على أمرائه ومماليكه.(٢١٣)

وعلى المنوال نفسه أقطع السلطان الصالح نجم الدين أيوب أمراء الغرب وأجنادهم عدة مناطق في لبنان سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م من أجل التواصل في الخدمة العسكرية والمشاركة في المهمات الحربية، إذا ما تم استدعاؤهم، وذلك من خلال تقديم كل أمير في تلك الإقطاعات عدداً من الفرسان لا يقل عن أربعين فارساً(٢١٤).

وتجب الإشارة الى أن جيش صلاح الدين انحدر من أصول إسلامية مختلفة، أو من الرقيق الأبيض المستورد الذين تصدروا الواجهة العسكرية للمجتمع العربي، حيث اعتمد صلاح الدين منذ سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م على تجنيد عدد من رجال القبائل العربية والتركمان لتعزيز

---

(٢٠٩) المقريزي، السلوك،ج١، ص٥٨٢؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٨.

(٢١٠) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠.

(٢١١) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٣.

(٢١٢) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج٦، ص١١٢-١١٣؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٤

(٢١٣) الحنبلي شفاء القلوب،ص٦٤.

(٢١٤) طرخان ، النظم الإقطاعية،ص ٣٢.

القوات النظامية للجيش الأيوبي من أجل القيام بأعمال حربية ضد الافرنج. (٢١٥) ، وقد أكثر صلاح الدين من الأكراد في جيشه، وغدوا أكبر بكثير من العنصر المملوكي(٢١٦)، واستخدمهم في سلك الأجناد النظامية، وتسلموا الإقطاعات أو الجامكيات مثل المماليك الأتراك(٢١٧).

وحول الأجر الذي كان يتقاضاه الأجناد ، فإنه يدخل في الإقطاع الممنوح للأمراء ، إذ يبدو من منشور تعيين ابن المقدم والياً على دمشق سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، إن الإقطاعة أو الجامكية تجوز مقاسمتها بين الأمير ومملوكيه ، لأنه يأمر الوالي بحظر الأمراء عن" الحيف على رجالهم في القرار والإقطاع"، ولذا نجد أن الإنفاق على الأجناد الذين يعملون لدى الأمراء في إقطاعاتهم قد بلغت أموالاً طائلة، فعلى سبيل المثال بلغت نفقات الأمير عماد الدين زنكي بن مودود على أجناده في إقطاع حلب نحو(٣٠٠٠٠٠)ألف دينار شهرياً، وكان الناصر داوود قد أنفق في إقطاعه في شرقي الأردن على جنده نحو (٤٠٠٠٠) ألف درهم أثناء حملته على مصر.(٢١٨)

ويعرف كذلك الجنود النظاميين بعبارة من له الإقطاع لا الجامكية، يقول أبو طيء" فأراه جرائد الأخبار بمبالغ إقطاعاتهم وتعيين جامكيتهم وراتب نفقاتهم(٢١٩)"، ويرى ابن مماتي أن معدلات العطاء والنفقات العينية المخصصة لكل فئة من الأجناد تدرج في قائمة العبرة المقدرة لكل إقطاع(٢٢٠)، حيث الجنود النظاميون من الأتراك والأكراد والتركمان يحصلون على عطائهم بالكامل، فيما

---

(٢١٥) البنداري، سنا البرق، ص١٦٨؛ زكار الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣١١.

(٢١٦) البنداري ، سنا البرق، ص٥٨١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص١٤٤.

(٢١٧) البنداري، سنا البرق، ص ٥٨١.

(٢١٨) ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق، ص١٤٢؛ البنداري، سنا البرق، ص٢٢٥؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٩، ص٢٣٩.

(٢١٩) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٣٥٠؛ ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص ١٤٢؛ البنداري، سنا البرق، ص ٢٢٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، إلى ٢٣٩؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٥٧.

(٢٢٠) ابن مماتي، الأسعد، قوانين الدواوين؛ تحقيق: عزيز سوريال، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م، ص٣٦٩.

يأتي أجناد الفئة الثانية من الكنانية ، وغيرهم من المقطعين في جنوب فلسطين، ومن ثم في دمياط ولهم نصف العطاء، والعرب في الفئة الثالثة تقاضى أجنادها ثمن العطاء(٢٢١)، وكان صلاح الدين قد استخدمهم لشن الغزوات على مناطق تواجد الافرنج،كما حصل سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، وذلك عندما أرسلهم إلى صيدا وبيروت لجمع الغلات الزراعية(٢٢٢)، وقد شاور صلاح الدين أمراءه في هذا الأمر قائلا: "قد علمتم غلا الغلات وإقلال الأقوات وظهور أعراب البادية وخفاء الأعشاب البادية وما كان بالقرب من غلات العدو وزروعه استجناه واحتجناه ولم يبق إلا أن ننهض عساكرنا بالتوبة" (٢٢٣). إذ كان رجال القبائل في جنوب فلسطين وشرقي الأردن يشكلون مصدر إزعاج دائم لأهالي المناطق هناك، فأراد صلاح الدين إسناد بعض المهمات الحربية إلى بعض القبائل مثل: بنو عباد وعدد فرسانهم نحو مائتي فارس من أجل إبعاد خطرهم، والحيلولة دون مساعدتهم للافرنج بالعمل كأدلاء لهم.(٢٢٤)

ولجأ بعض سلاطين الدولة الأيوبية مثل الصالح أيوب إلى استخدام عساكر الخوارزمية في مهمات حربية، مثل المساعدة في امتلاك دمشق سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م ، وأخذها من الصالح إسماعيل ، وأقطعهم مقابل ذلك عدة مناطق في فلسطين الغربية، بالإضافة إلى حران والرها سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م (٢٢٥)ثم استخدمهم الناصر داوود صاحب الكرك في سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م في استعادة إقطاعاته في مناطق القدس ونابلس والخليل(٢٢٦).

---

(٢٢١) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٥٩-١٦٠

(٢٢٢) البنداري، سنا البرق، ص١٦٣؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٧٣

(٢٢٣) البنداري، ص١٦٣-١٦٤

(٢٢٤) البنداري،سنا البرق، ٦٥؛ هاملتون، ص ١٧٣

(٢٢٥) ابن ابي جرادة ، زبدة الحلب ،ج٢، ص ٦٨٩؛ العمري، ياسين بن خير الله، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية؛ تحقيق، عماد عبد السلام، مطبعة الأدب، النجف، ١٩٧٤، ص٤٣.

(٢٢٦) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٨.

إقطاعات أخرى

أولاً: إقطاعات القبائل العربية (البدوية):

ذكر المخزومي وجود العديد من الإقطاعات التي منحت للقبائل العربية في بلاد الشام زمن الأيوبيين، وعرفت باسم الاعتداد، حيث قال: " وأما إقطاع الاعتداد فإنه لا يكون إلا في العرب المدونين خلا العرب القريشيين، فإن حكم واجباتهم حكم الواجبات الجيشية، ولا يتوجب لأرباب الاعتداد خراج، وكانت العادة جارية عند عرضهم بالقبض... ويقدر لذلك جريدة، نسختها: جريدة باستمرار واجبات فلان بن فلان، ومن معه من العرب الفلانيين الذين خرج الأمر بإقطاعهم الأعمال الفلانية، بعدما شرط عليهم من لزوم الطاعة وحفظ الطرقات والسعي في المهمات والخدمة في العساكر المنصورة"(٢٢٧)، حيث حصل عرب القحطانية وأميرهم زين الدين صالح بن علي بن بحتر ابن قحطان أمير الغرب في العهد الأيوبي على إقطاعات في غرب لبنان أو ما عرف باسم بلاد الشوف، وظلت أملاكهم مثبتة في محاضر شرعية حتى القرن التاسع الهجري منذ عهد جدهم بحتر الأول(٢٢٨). وحصل بعض أفرادها على تلك الإقطاعات منذ عهد السلطان نور الدين زنكي الذي أقرّ بعض أمرائها في تلك المناطق، وعرفوا باسم أمراء بني الغرب، وذلك من خلال المنشور الذي كتب لهم من قبل نور الدين سنة ٥٦٠هـ/ ١١٧٠م ، وبيَّن فيه مناطق إقطاعاتهم وعدد الفرسان والجند المكلفين بإرسالهم وقت المهمات الشريفة، وكان يحدد العدد الأدنى لكل أمير إقطاعي بأربعين فارساً، بدليل ما جاء في المنشور " لما جاهر الأمير كرامة بن بحتر التنوخي إلى بابنا ولاذا بالخدمة وتقرب إليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها تُقبّل سعيه وأُجيب إلى ملتمسه ورسم له إنشاء هذا المرسوم ... والعدة أربعون فارسا وما أمكنه وقت المهمات الشريفة

---

(٢٢٧) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ١٥،نقلاً عن كتاب المنهاج في علم الخراج لمؤلفه المخزومي.

(٢٢٨) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٦٥، ٩١- ٩٤؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٥٣

وجهاته غالب قرى الغرب ومن غير الغرب القنيطرة ومن البقاع ظهر حمار ومن وادي التيم ثعلبايا وبرجا والمعاصير والدامور وشارون وكفر عميه." كما حصلت بعض العشائر البدوية مثل آل تنوخ على إقطاعات في لبنان ، وظلت في أيديها حتى الفتح العثماني(٢٢٩). ومن العشائر العربية وغير العربية التي نزلت في سواحل الشام في أزمان وعصور مختلفة مثل: آل معن وآل عساف وآل سبغا قد حصلت هي الأخرى على إقطاعات في لبنان مقابل المرابطة ضد غزوات البيزنطيين والإفرنج، البرية والبحرية. (٢٣٠) وأقطع صلاح الدين سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م ضيعة في حلب لبني الخشاب(٢٣١).

واستقرت بعض القبائل العربية في بلاد الشام مثل:- آل ربيعة، وخفاجة، وآل مهنا، وآل عيسى الذين اشتغلوا بالزراعة في أراضي الجولان وسهول حوران، وساهمت في المشاركة بالدفاع عن بلاد الشام أمام هجمات الافرنج عليها(٢٣٢)، مثل مشاركتهم في الدفاع عن أسوار عكا أمام هجمات الفرنج سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م(٢٣٣)، والتصدي أيضاً لغارة ملك الروم على حلب سنة ٦١٥هـ ١٢١٨/٨. (٢٣٤)

---

(٢٢٩) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٧١- ٧٣؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٢.

(٢٣٠)، ابن شداد، الأعلاق، ج١ ق١، ص١٢٤؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١٢٦؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٥٣-٥٤، هامش، (٦٧)

(٢٣١) ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق١، ص ١٢٤؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٢٦.

(٢٣٢) ابن القلانسي ، أبي يعلي حمزة بن أسد بن علي ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت، ١٩٠٨، ص١٨٥-١٨٦ ؛ فرح ، نعيم، تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، د ن، د م، ١٩٨٠م، مج٢، ص ٥٣٧- ٥٣٨

(٢٣٣) ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٠ م، مج٤ ،ج١ ،ص ٢٢٥.

(٢٣٤) ابن الوردي، زين الدين عمر، تتمة المختصر (تاريخ ابن الوردي)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م،ج٢ ، ص١٩٤؛ الشريدة ، إدارة بلاد الشام ، ص١٦١.

ووجدت الإقطاعات الصغيرة غير الوراثية والممنوحة من قبل السلاطين للأجناد والقبائل العربية مقابل الإسهام بمجهوداتهم الحربية، حيث تنتهي بمجرد انتهاء الخدمات التي يقدمونها للدولة، (٢٣٥) باستثناء بعض الإقطاعات الممنوحة للقبائل العربية في بلاد الشام التي أصبحت وراثية في أبنائهم لقاء الاستمرارية في كسب الولاء والطاعة من جهة ، والتصدي لهجمات الافرنج من جهة اخرى. (٢٣٦)

ثانياً: الإقطاعات الممنوحة للإفرنج:

لم يكن من بأس لدى السلطان صلاح الدين أن يمنح الإقطاعات لأعدائه متى آمن شرهم، وذلك من أجل المحافظة على أرواح المسلمين وحقناً لدمائهم، إذ أقطع صاحب حصن شقيف أرنون مسكناً في دمشق، بناءً على طلبه، بعد استسلامه سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م(٢٣٧).

وعلى أثر صلح الرملة سنة(٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، وافق صلاح الدين على شروط الافرنج في إقطاع فرسان الداوية والاسبتارية بعض البلاد والقرى، من أجل حسم النزاع وحقناً للدماء مؤقتاً(٢٣٨)

وقد تخلى العادل من جهته سنة٦٠١هـ/ ١٢٠٤م عن إقطاعات يافا والناصرة للفرنجة، مقابل السلام ومن الأجل المحافظة على بقاء المصالح التجارية مع الدويلات الإيطالية لتحقيق الأغراض التالية:

أ) زيادة إيراداته الخاصة، وتطوير إمكانياته الحربية.

ب) ضمان الحياد من قبل الدويلات الإيطالية، وعدم تقديم الدعم للحملات الصليبية على العالم الإسلامي في المستقبل، وأما السلطان الكامل فقد تنازل عن القدس، وجزء من أراضي فلسطين سنة٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩ للامبراطور فردريك الثاني، من أجل إحلال السلام في المنطقة،

---

(٢٣٥) المقريزي، السلوك،ج١، ص١٧٢، عثمان، قائد ، أراضي الإقطاع والمقطعون في مصر والشام خلال العصر الأيوبي، مجلة سبأ، ع١٣، ٢٠٠٤م، ص ١٣٩.

(٢٣٦) المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٨٠-١٨٧-١٩٠ ، عثمان قائد ، أراضي الإقطاع، ص١٤٠.

(٢٣٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٤٢؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٢.

(٢٣٨) طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٢.

وضمانة للمسلمين في البلاد الشامية حسب ما جاء في تصريحات قاضي حماة الذي دافع عن ما فعله السلطان ، وقد أثار الكامل بفعله هذا سخط الكثير من شعوب العالم الإسلامي، ولكن السبب في التنازل هو الاستنجاد بالافرنج نصرة له على أخيه المعظم عيسى، و الوقوف في وجه ابنه الناصر داوود.(٢٣٩)وكان للخوف الذي سيطر على الصالح إسماعيل من ابن أخيه الصالح أيوب سلطان مصر، العامل الأساسي في الاتجاه نحو التحالف مع الافرنج سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م لأجل حماية ممتلكاته، مقابل إعطائهم إقطاعات في صفد وشقيف أرنون و صيدا وطبريا، ثم أتبعها بإقطاعهم مدينة القدس تمليكاً كاملاً سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤، وعندما داهم المغول بلاد الشام سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، سار بعض أمراء البيت الأيوبي إلى تسليم إقطاعاتهم للخان المغولي هولاكو، مثل المنصور الثاني صاحب حماة، والأشرف موسى الثاني صاحب حمص، مقابل إنقاذ أرواحهم من القتل ، وإبقائهم على رأس الإمارات التي يحكمونها(٢٤٠).

مع الإشارة إلى أن الإقطاعات الممنوحة للافرنج يجب أن لا تختلط في أذهاننا مع نظام المناصفات الذي أدخل بعد دخول الإفرنج إلى الأراضي الشامية، وقد سجلت أول إشارة لهذا النظام على عهد السلطان صلاح الدين بعد المفاوضات التي أجراها مع ريتشارد قلب الأسد، ونجم عنها جعل منطقة الرملة واللد مناصفة بين المسلمين والافرنج، واللجوء إلى هذا النظام كان ضرورياً من أجل حلّ جميع المشكلات السياسية والاقتصادية الخاصة بالمناطق المتنازع عليها بين المسلمين والإفرنج ، وخاصة مناطق الحدود المشتركة بين الطرفين(٢٤١).

وتشير بعض المصادر العربية المعاصرة إلى أن المناطق التي تدخل في النظام إما أن تكون تابعة للمسلمين يتم التنازل عن ريعها للافرنج، وذلك من أجل اتقاء شرهم، وعدم القدرة على ردهم، وإما أن

---

(٢٣٩) هاملتون ، صلاح الدين، ص ٢٠٨ – ٢١٥– ٢١٦.

(٢٤٠) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٤،٢٢٧، ٢٣٤، ٢٣٥

(٢٤١) علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٦م، ص ٤٣.

تكون تلك المناطق تابعة للافرنج، فيتم اقتسام ريعها مع المسلمين كنوع من المهادنة. (٢٤٢) ثم أصبحت تلك المناطق خاضعة لإدارة إسلامية افرنجية مشتركة، برئاسة نائبين، أحدهما ممثلٌ للسلطان والآخر افرنجي، ويعمل تحت إمرتهم جهاز إداري يتألف من عدد من الموظفين يتولون بعض المهام: منها استخراج الحقوق والجبايات والغلات وغيرها من رسوم وضرائب من شتى المرافق الاقتصادية في بلاد المناصفات. (٢٤٣) وتكون الرسوم والضرائب على اختلاف أنواعها مناصفة بين السلطان والأمير الافرنجي في البلاد التي تخضع لنظام المناصفات، واشتملت تلك الرسوم على شتى الموارد والمرافق الاقتصادية من أراضي زراعية بما فيها البساتين ومصائد الأسماك والملاحات والمحاصيل الصيفية والشتوية والطواحين والثروة الحيوانية من دواب وأبقار وأغنام، وجميع الحقوق المقرّرة على الأراضي الزراعية على اختلاف أنواعها(٢٤٤).

ميزات الإقطاع في العصر الأيوبي

ما يميز الإقطاع الأيوبي عن غيره من الأنظمة الإقطاعية عند السلاجقة والزنكيين، أن أصبحت مسألة العزل والحرمان من الإقطاع تحت تصرف السلطان (٢٤٥)، فأبناء السلطان وأمراء البيت الأيوبي في أعلى السلم،ثم كبار رجال الدولة من العسكريين والمدنيين في المرتبة

(٢٤٢) علي، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٥.

(٢٤٣) علي، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٦، للمزيد انظر: المقريزي، السلوك، ج٢، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢٤٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، د. ت، ج ١٤، ص ٤٥، ٤٦.

(٢٤٥) خليل، الاقطاع الشرقي، ص١٧٩.

الثانية ، وأخيرا يحتل صغار الجند والعساكر المرتبة الثالثة من حيث استحواذهم على الاقتطاعات الصغيرة .[٢٤٦]

فالنظام الإقطاعي على العهد الايوبي كان قد شكل ظاهرة إدارية واقتصادية وعسكرية في آن واحد، وقام على أساس استغلال الأراضي والانتفاع منها مقابل الالتزام بالواجبات المفروضة على أمير الاقطاع تجاه الدولة من جهة ، ورعايا الإقطاع من جهة أخرى.[٢٤٧]

وانتشر نظام الإقطاع العسكري منذ العهد السلجوقي في بلاد الشام، أو ما يسمى بالحيازة المشروطة التي تمنحها سلطة الدولة للعاملين في الإقطاع من العسكريين والمدنيين، وبالنسبة للأراضي التي خضعت تحت سيطرة الافرنج فقد اختلف نظامها الإقطاعي العسكري عنه في الدولة الأيوبية، فاختلف باختلاف دول الإفرنج، حيث في إمارة أنطاكية يختلف عنه في مملكة بيت القدس[٢٤٨].

وحسب النظام الإقطاعي الأيوبي تبقى أراضي الإقطاعات الزراعية تحت إدارة الوكلاء أو يتم إعطاؤها للفلاحين مقابل نسب ضئيلة من المحاصيل الزراعية في كل عام.[٢٤٩]، و قد بدأ ذلك منذ عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ، علما بأن الأخير كان قد قلل من ظلم النظام الإقطاعي الذي كان يعمل به الفاطميون، وأظهر اهتمامه بالفلاح الشامي كونه يساهم كثيرا في تأمين الميرة[٢٥٠] للعساكر الإسلامية المرابطة في بلاد الشام، إذ أوصى أسد الدين شيركوه صاحب حمص

---

(٢٤٦) كيروف زوبرتيسكي،المشاعة،الرق الإقطاع؛ ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م، ص٩٠

(٢٤٧) ربيع ، النظم المالية ، ص٣٣؛ الشريدة ، إدارة بلاد الشام ، ص١٦٤.

(٢٤٨) زابوروف، الصليبيون، ص ١٣٢.

(٢٤٩) عثمان، أراضي الإقطاع، ص ١٤٠.

(٢٥٠) الميرة: الطعام يجمع للسفر ونحوه، انظر: مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، ، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٨٩٣.

في الحفاظ على الفلاحين تحسبا لأي هجوم فرنجي قادم من طرابلس.[٢٥١] ، وعمل صلاح الدين على تحجيم سلطة الإقطاعيين الذين كانوا يستخدمون كثيراً من الفلاحين كعبيد وأجراء في أراضيهم ، ويعاملونهم بقسوة شديدة.[٢٥٢] وقد ترتب على ذلك أن ساءت أحوالهم المعيشية، فانطبق عليهم قول ابن خلدون: "أن الفلاحة من معاش المستضعفين ويختص منتحلها بالمذلة".[٢٥٣] ويبقى القول أن بعض الفلاحين كانوا ملاكاً للأراضي الزراعية في القرى والتي خرجت عن نطاق الإقطاعات الكبيرة ، إذ كان الفلاح حريصا على الاحتفاظ بأرضه، وعدم إشراك الغريب في امتلاكها، وهذا ما كان يتمتع به فلاحو الغوطة الدمشقية[٢٥٤].

وكثيرا ما كان يجري تغييرات واسعة على الإقطاعات في بلاد الشام بسبب تعاقب السلاطين على الحكم ، والتغيير في إدارة الإقطاع واستغلاله من شخص لآخر بمتابعته لأمراء الإقطاع بين الحين والآخر، أو كلما صعد إلى عرش الدولة الأيوبية سلطان جديد، فبعد أن تسلم العادل الحكم منح ابنه الملك المعظم عيسى إقطاعاً ضم دمشق والقدس وطبريا والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة، وأعطى ابنه الأشرف موسى[٢٥٥] بعض ديار الجزيرة وميافارقين

---

(٢٥١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٣٤.

(٢٥٢) حركات، إبراهيم، النشاط الاقتصادي والإسلامي في العصر الوسيط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٦٦م،، ص١٤؛الاوتاني، دمشق، ص٢٢٢

(٢٥٣) ابن خلدون ،عبد الرحمن، المقدمة (الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)؛ تحقيق: حجر عاصي، ص ٢٥٠

(٢٥٤) كرد علي ،غوطة دمشق، ص٩٤.

(٢٥٥) الملك الأشرف موسى: موسى ابن السلطان العادل بن أيوب، ولقب بالملك الأشرف، توفي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ص٢٠١٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢،ص٤٨١.

وأخلاط ، فيما كانت الرها من نصيب ابنه شهاب الدين غازي. (٢٥٦) وإلى جانب ذلك اتبع السلاطين الأيوبيون سياسة البدل في النظام الإقطاعي، حيث تقوم على تعويض الأمير عما فقده من إقطاعات بسبب العصيان ، وعدم الدخول في طاعة السلطان، كما حدث مع عماد الدين زنكي بن مودود سنة٥٧٩هـ/ ١١٨٣م و ذلك عندما وافق على قبوله إقطاعاً يضم مناطق: سنجار(٢٥٧) والخابور(٢٥٨) ونصيبين وسروج بدلا من حلب. (٢٥٩) ومما يلفت النظر والانتباه في نظام الإقطاع الأيوبي، حرص الدولة على توزيع إقطاعات الأمراء في عدد من الأعمال وضمن العمل الواحد، وذلك للحد من قدرة الأمراء في تكوين أي نفوذ سلطوي لهم في مناطق إقطاعهم ، والثورة على الدولة(٢٦٠).

وقد أدخل سلاطين الدولة الأيوبية الإقطاع الإداري إلى دولتهم كونهم من أمراء الإقطاع في العهد الزنكي من جهة، و من أجل إعادة وإعمار وإصلاح البلاد التي فتكت بسكانها كثرة المجاعات التي تعرضت لها بلاد الشام من جهة أخرى. (٢٦١) وكان على عاتق هؤلاء المقطعين

---

(٢٥٦) ابن الاثير، الكامل ، ج٩ ، ص٣٢٦-٣٢٧؛ ؛ ابن العميد ، جرجس أبو العباس، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص ١٢٤؛ الشريدة، خالد سليمان، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، عماد الدين للنشر، عمان، ٢٠١١م، ص ١٦٣.

(٢٥٧) سِنْجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٦٢.

(٢٥٨) الخابور: اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسب إليه من البلاد قرقيسياء وماكسين والمجدل وعربان. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٣٤.

(٢٥٩) ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص٥٥٤، ٥٥٨.

(٢٦٠) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع ٣، ص ٢٢.

(٢٦١) طرخان، ص٣٢؛ بهجت، منى محمد، اثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج١،ص ١٠٦

مسؤولية إدارة الإقطاع في جميع نواحي الحياة المختلفة، والاهتمام بالمشاريع الزراعية من استصلاح وتوسعة للأراضي الزراعية، والعناية بأساليب الري وإقامة الجسور وغيرها من الإصلاحات التي تزيد من إنتاجية الأرض في محاصيلها الزراعية (٢٦٢) ، وجمع ضريبة الخراج، إضافة إلى ما هو مفروض من إقطاعه من التزامات للدولة، مثل : أداء ضريبة الجزية والزكاة،(٢٦٣) فقد أولى المعظم عيسى على عهد والده السلطان العادل، العناية التامة بالقرى التابعة لإقطاعه في دمشق وحمص والقدس والشوبك وصرخد(٢٦٤) ، ومناطق الغور والكرك، حيث شجع الفلاحين فيها على الزراعة وقدم لهم التسهيلات والمساعدات كافة في زراعة الأشجار والمحاصيل وتنظيم زراعتها ،كما أمر بحفر الآبار ، وعمل الصهاريج ، وأجرى إليها عيون المياه العذبة. (٢٦٥)

استفاد أمراء وسادة الإقطاع الأيوبي من إقطاعاتهم في بلاد الشام، وقد لاقت فلاحة الأرض اهتمام العديد من أمراء البيت الأيوبي ،إذ أكثروا من زراعة أصناف الفاكهة المتعددة، وقاموا بتأمين وصول المياه إلى المزارع والبساتين ،حتى يكونوا قدوة لغيرهم من الفلاحين. (٢٦٦) لذلك نجدهم قد وقفوا أمام هجرات الفلاحين من القرى إلى المدن، كونهم

---

(٢٦٢) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٢- ٣٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١١، ص ٥٠- ٥٣؛ ربيع ، حسنين محمد، النظم المالية في مصر، دار الأمين، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤، ص ٣٥.
rabie,hassanein,the financil system of Egypt ,oxford university press, London,1972,p.p68,70-71

(٢٦٣) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج ٦، ع٣، ص ١٩- ٢٠.

(٢٦٤) صَرْخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٤٠١.

(٢٦٥) غوانمة يوسف درويش، إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، ط٢، ١٩٨٢م، ص ١٨١.

(٢٦٦) كرد علي، غوطة دمشق، ص٩٦.

يشكلون أهم مصادر وموارد السلاطين والأمراء من خلال أموال الخراج وغيرها من الضرائب النقدية والعينية .[٢٦٧]

واهتم الأيوبيون ومن بعدهم المماليك بعد انتهاء الحكم الصليبي في بلاد الشام بالفلاحين وخاصة المناطق الفلسطينية، واتبعوا سياسة استصلاح الأراضي، وتشجيع الفلاحين على زراعتها، حيث ارتفع عدد القرى والمزارع والضياع في أراضي فلسطين بعد الاحتلال الافرنجي إلى نحو ٣٠٠ قرية ومزرعة.[٢٦٨] وانصبّ اهتمام السلاطين والأمراء الأيوبيين بشكل كبير في الإقطاعات التي تكثر فيها الأراضي الزراعية مثل مدن وقرى دمشق وحلب، إذ نستدل على ذلك من خلال المردود المالي والعيني[٢٦٩] ،فقد وصل ارتفاع حلب زمن الملك الظاهر غازي إلى نحو(٦,٩٨٤,٥٠٠) درهم في سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م.[٢٧٠]

وبلغ ارتفاع مدينة حارم نحو (٥٠٠,٠٠٠) ألف درهم سنويا،[٢٧١] أما قصبة حلب فقد وصل ارتفاعها زمن الملك الناصر يوسف آخر أمراء البيت الأيوبي إلى نحو (٢,٠٠٠,٠٠٠) مليون دينار في سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م[٢٧٢]، إذ كان يدخل في أعمالها من القرى نحو الثمانمائة مثل: تل

---

(٢٦٧) فرح ،تاريخ الفلاحين ،مج٢ ،ص٥٥٥.

(٢٦٨) الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٦١١- ٦١٢؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٣٣٠، ٣٣٩. عثامنة، فلسطين ، ص٢٥٩؛ زابوروف، الصليبيون، ص ١٩١.

A.N. poliak, feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon Philadelphia, 1977,p.9

(٢٦٩) الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٦٣٢،٥٩٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص١٧٢؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢،ص ١٩.

(٢٧٠) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١٤٧؛ الغزي، نهر الذهب، ج١، ص٢٦٨.

(٢٧١) ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص٥٧٠-٥٧١

(٢٧٢) أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص١١٣

السلطان[٢٧٣] وأورم[٢٧٤] وجبرين الفستق وعين زربة[٢٧٥] وكفر تخاريم وقلب لوزة والحطابية والبزاعة وغيرها ،حيث يصرف من غلات خمسمائة قرية في إعداد (١٠٠٠) فارس، والباقي يحمل إلى بيت المال.[٢٧٦] كما ارتفعت عبرة الإقطاعات الممنوحة للأمراء والأعيان من خارج البيت الأيوبي، إذ بلغت عبرة إقطاع بهاء الدين قراقوش (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) نحو ثمانين ألف دينار سنوياً، وعبرة بهاء الدين بن شداد مائة ألف درهم في السنة[٢٧٧]، وبلغ خراج البلاد الشامية في العصور اللاحقة للحكم الأموي، بما فيها مناطق طرابلس ويافا وعسقلان واللاذقية نحو (٩٣,٥٠٠,٠٠٠) درهم .[٢٧٨]

يتبين مما سبق ذكره، ومن خلال أرقام المبالغ الخراجية الخاصة بالبلاد الشامية ، أنها بلاد ذات خيرات واسعة، بسبب ما تملكه من أراضٍ وضياع وبساتين تساهم كثيرا في رفع العوائد الخراجية الخاصة بها ، فيستفيد القاصي والداني من تلك الثروات التي تعم خيراتها على سادة الإقطاع ، ومن كان في خدمتهم من أمراء وأعيان وقادة وجند. وبنظام الإقطاع العسكري وقوته استطاع صلاح الدين من إعادة توحيد بلاد الشام مع مصر، إذ سيطر الإقطاع العسكري على معظم الأراضي الشامية، وجعل من المدن الكبرى محطات لمراقبة تحركات الافرنج

---

(٢٧٣) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٤٢.

(٢٧٤) أوْرم: اسم لأربع قرى من قرى حلب وهي: أورم الكبرى وأورم الصغرى وأورم الجوز وأورم البرامكة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٢٧٨.

(٢٧٥) عين زربة: بلد بالثغر من نواحي المصيصة، انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٧٧.

(٢٧٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٦٥؛ الغزي، نهر الذهب ،ج١ ،ص٣٦٦- ٣٧٧، ٣٨٣.

(٢٧٧) الطواهية،الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ١٨.

(٢٧٨) المصدر نفسه، ص ١٧١-١٧٢.

سواء أكان في دمشق أم حمص أم حماة أم غيرها من المناطق الشامية.(٢٧٩)

(٢٧٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣١٧، ٣١٩؛ زابوروف، الصليبيون، ص١٨٩

النتائج

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الآتية:

١- استأثرت دمشق وما يتبعها من مدن وقرى بالنصيب الأكبر من حجم الأراضي الزراعية المستغلة في بلاد الشام، لاسيما في مناطق: بعلبك والغوطة والمرج والربوة وشبعا ودوما وحرستا وغيرها.

٢- كان للموقع الجغرافي لبلاد الشام ، وقربها من البحر الابيض المتوسط أثر كبير في تلقي أراضيها كميات كبيرة من الأمطار، بسبب تأثرها بالإقليم المناخي المتوسطي، الذي حقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي لمياه الري بسبب كثرة الأمطار الساقطة على مختلف المناطق في بلاد الشام.

٣- ساهمت الأنهار إلى جانب الأمطار بدور كبير في ري المزروعات المنتشرة في أراضي بلاد الشام الزراعية مثل: أنهار داريا والزهراني وبردى والعاصي والأردن وغيرها.

٤- تركزت زراعة المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها، في سهول الغوطة وحوران والسهول المرتفعة في الجولان ومناطق الأغوار والبلقاء وأراضي القدس ونابلس والخليل وغيرها.

٥- كان المحراث الخشبي والمنجل والمجرفة والشوافة والمعول وألواح الخشب والغربال من أهم الآلات الزراعية التي استخدمها أهالي الشام في الزراعة ومواسم الحصاد.

٦- وزّعت معظم أراضي البلاد الشامية على الأمراء من البيت الأيوبي ، وكبار رجال الدولة من أمراء وقادة وجند حسب الرتب العسكرية على شكل إقطاعات، فيما دخلت الأراضي الخارجة عن نطاق الإقطاع في نظام التأجير.

٧- مثلت صلة القربى والولاء السياسي أهم الأسباب وراء منح الإقطاعات في البلاد الشامية لأكثر من شخص تناوبوا على إدارتها في فترات الحكم الأيوبي.

٨- بيّنت الدراسة - بالأرقام – مردودات وارتفاعات الإقطاعات في بلاد الشام لبعض السنوات في العصر الأيوبي.

٩- خضعت تنظيمات الجيوش الأيوبية تحت سيطرة نظام الإقطاع العسكري خلال الحكم الأيوبي لبلاد الشام ، لاسيما في الإقطاعات الكبرى مثل دمشق وحمص وحلب وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

[١] ابن الشحنة (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، أبو الفضل محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،؛ تقديم: عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤.
[٢] ابن العميد (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م) ، جرجس أبو العباس، اخبار الايوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت.
[٣] ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٠ م.
[٤] ابن الوردي(ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، زين الدين عمر، تتمة المختصر (تاريخ ابن الوردي)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م،
[٥] ابن حزاذبة (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك،مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
[٦] الأصفهاني(ت ٥٩٥هـ/١٢٠٠م)، عماد الدين، الفتح القسي في الفتح القدسي؛ تحقيق: محمد صبح، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٠م.
[٧] الحميري(ت٩٠٠هـ /١٤٩٤م)، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار؛ تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
[٨] مجير الدين الحنبلي(ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)، أبو اليمن، الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (د. ن، د.م ، د. ت)
[٩] ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠.

[١٠]ابن بطوطة(ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٨م.
[١١]ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت . د. ت
[١٢]ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، عبد الرحمن، المقدمة (الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)؛ تحقيق: حجر عاصي.
[١٣]ابن خلكان(ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت. د. ت
[١٤]ابن شداد(ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، عز الدين محمد بن علي، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة؛ تحقيق: سامي الدهان، (طبعة ١٩٦٢م).
[١٥]ابن مماتي(ت٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، الأسعد، قوانين الدواوين؛ تحقيق: عزيز سوريال، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م.
[١٦]ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب؛ تحقيق: جمال الدين الشيال(طبعة القاهرة ١٩٦٠م).
[١٧]ابن وحشية(ت ٢٩١ هـ/ ٩٠٣م)، أبو بكر أحمد بن علي، الفلاحة النبطية، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٩٣م.
[١٨]البنداري(ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)، الفتح بن علي، سنا البرق الشامي؛ تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.
[١٩]الحنبلي (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب؛ تحقيق: مديحة الشرقاوي مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٩٩٦م.
[٢٠]القزويني(ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت

[٢١]القلقشندي(ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا؛ دار ا لفكر، دمشق، ١٩٨٧م.
[٢٢]المقدسي(ت٧٦٣هـ/١٣٦١م)، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣.
[٢٣]المقريزي(ت ٨٣٥هـ/ ١٤٤١م)، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م.
[٢٤]النويري(ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.
[٢٥]شيخ الربوة(ت ٧٢٧هـ / ١٨٦٥م)، شمس الدين عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.
[٢٦]اليافعي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦م)، أبو محمد عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
[٢٧]ابن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، كمال الدين عمر بن أحمد، زبدة الحلب من تاريخ حلب؛ تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربية، دمشق، ١٩٩٧م.
[٢٨]ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢م.
[٢٩]ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ، أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.
[٣٠]ابن دقماق (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)، إبراهيم بن محمد بن أيدسر، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين؛ تحقيق: محمد كمال الدين علي، بيروت، ١٩٨٥م.
[٣١]ابن سباط (٩٢٦هـ / ١٥١٩م)، حمزة بن أحمد بن عمر، تاريخ ابن سباط؛ تحقيق: عمر تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس.

[٣٢]ابن شاهنشاه(ت٦١٧هـ / ١٢٢٠م)،محمد بن تقي الدين عمر، مضمار الحقائق وسر الخلائق؛ تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٨م.
[٣٣]ابن شاهين(ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، غرس الدين خليل الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك؛ تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٩٨٤م.
[٣٤]ابن طولون(ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، محمد الصالحي القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية؛ تحقيق: محمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠
[٣٥]ابن فضل الله العمري(ت ٧٤٩هـ/ ١٣٢٩م) شهاب الدين أبي العباس أحمد، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ تحقيق: محمد خريسات، مركز زايد للتراث، أبو ظبي.
[٣٦]ابن كثير(ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ،أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م .
[٣٧]أبو الفداء (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين ابن أيوب، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م.
[٣٨]أبو شامه (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٥م)، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
[٣٩]الإدريسي(ت. ق ٦هـ/ ١٢م)، أبو عبد الله محمد بن إدريس الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
[٤٠]الحموي(ت٨٢٦هـ / ١٢٢٨م)، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
[٤١]الغزي(ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، كامل حسين بن محمد البالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم العربي، حلب.
[٤٢]المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك؛ تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م ،ابن شداد(ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)،

بهاء الدين أبو المحاسن موسى بن رافع، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية.
[٤٣]ابن القلانسي (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، أبي يعلي حمزة بن أسد، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
[٤٤]ابن بحتر، صالح بن يحيى بن صالح، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٨م.
[٤٥]العمري (ت ١٢٣٠هـ / ١٨١٦م)، ياسين خير الله، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية؛ تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة الأدب، النجف، ١٩٧٤م.

ثانياً: المصادر الأجنبية المعربة:

[٤٦] جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.
[٤٧]الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس؛ ترجمة: زياد العسلي، دار الشريف، عمان، ١٩٩٠.

ثالثاً: المراجع العربية:

[٤٨]الأوتاني، أحمد محمد، دمشق في العصر الأيوبي، التكوين للتأليف والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م.
[٤٩]فرح ، نعيم، تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، د ن، د م، ١٩٨٠م.
[٥٠]بهجت، منى محمد، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م.
[٥١]الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان؛ في جبل لبنان؛ تقديم: فؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت.
[٥٢]الطراونة، مبارك محمد، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك، دار جليس الزمان للنشر، عمان، ٢٠١٠م.
[٥٣]حركات، إبراهيم، النشاط الاقتصادي والإسلامي في العصر الوسيط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٦٦م.

[٥٤]حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي؛ تقديم: عبد العزيز الدوري، الجامعة الأردنية، عمان ، ١٩٧٨.
[٥٥]خرابشة، سليمان عبد العبد الله، نيابة طرابلس في العصر المملوكي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣ .
[٥٦]دويكات، فؤاد عبد الرحيم حسن، إقطاعية شرقي الأردن في العصر الحروب الصليبية (رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، اربد).
[٥٧]عبد السلام، عادل، جغرافية سوريا، (دمشق، ١٩٧٣م).
[٥٨]عثمان، قائد ، أراضي الإقطاع والمقطعون في مصر والشام خلال العصر الأيوبي، مجلة سبأ، ٢٠٠٤م،
[٥٩]غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥.
[٦٠]مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٥٠٠.
[٦١]محمد كرد علي، دمشق مدينة السحر والشعر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م
[٦٢]محمد كرد علي، غوطة دمشق، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.
[٦٣]الخطيب، مصطفى عبد الكريم معجم المصطلحات، والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦.
[٦٤]الطروانة، طه ثلجي، مملكة صفد في في عهد المماليك ، دار الآفاق الجديد، بيروت، ١٩٨٢.
[٦٥]العطار، محمد، علم المياه الجارية في مدينة دمشق؛ تحقيق:أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤.
[٦٦]الغامدي، علي محمد،بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.
[٦٧]بني عيسى، عبد المعز عصري، الموارد والنفقات في الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، (رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٩م
[٦٨]جبران ، نعمان محمود، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة حمادة، اربد، ٢٠٠٠م.

[٦٩]ربيع ، حسنين محمد، النظم المالية في مصر، دار الأمين، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
[٧٠]شاهين، رياض ،وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش، دار الشروق عمان، ٢٠٠٣م.
[٧١]طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
[٧٢]عثامنة ، خليل، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٦.
[٧٣]غوانمة، القرية في جنوب بلاد الشام، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣م.
[٧٤]غوانمة، يوسف درويش، تاريخ شرق الاردن، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٩م.
[٧٥]خليل، فؤاد، الإقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
[٧٦]خير، صفوح، مدينة دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٩م.
[٧٧]الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م.
[٧٨]سعداوي، نظير حسن، جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩.
[٧٩]الشريدة، خالد سليمان، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، عماد الدين للنشر، عمان، ٢٠١١م،
[٨٠] كاشف، سيدة إسماعيل، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣م.
[٨١]زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، (مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية)د.ت، دمشق، ١٩٩٥م.
[٨٢]علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٦م.

رابعاً: المراجع الأجنبية المعربة:

[٨٣] كيروف زوبرتيسكي،المشاعة،الرق الإقطاع؛ ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م .
[٨٤]سمنيوفا، ليديا اندرنيغلا، صلاح الدين، والمماليك في مصر؛ ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.
[٨٥]هاملتون آ. ر. جب، صلاح الدين الأيوبي؛ تحرير: يوسف أيبش، بيسان للنشر، بيروت، ط ٢، ص ١٩٩٦.
[٨٦]زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق؛ ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٦.

خامساً: المراجع الأجنبية:

[87] Rabie,hassanein,the financil system of Egypt ,oxford university press, London,1972,p.p68,70-71
[88] A.N. poliak, feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon Philadelphia, 1977,p.9

The Status of Farming Lands Under the Ayoubi Rule (570-648 A.H/ 1174-1250 B.C)

Dr. Abed Al Mouiz Asri Bani Issa
Assistant Professor
Department of History –Faculty of Arts- Yarmouk University

Abstract. This study aims to identify the locations of the farming lands with respect to the administrative formations during the Ayoubi era. The study also evaluates the extent to which the farming lands made use of irrigation sources such as rivers and springs as well as rainfalls. It also sheds light on the type of trees, grains, and vegetables that the Ayoubi peasants grew. The study also highlights how land property and feudal system worked for high-ranking Ayoubi officials, dignitaries, princes, army leaders and commissioned and non-commissioned officers.